الفصل الرابع تعليم

البنت في المجتمع المزابي.

0:4 تمهيد:

لا يقتصر تعليم البنت في المجتمع المزابي على المدرسة فحسب، وإنما هنا محطات عديدة تمر عليها من المهد إلى اللحد لتتمكن من بلورة شخصيتها، وتسطيع في النهاية القيام بدورها كاملا في تربية الأجيال واستمرارية المجتمع والحفاظ على هويته.

انطلاقا من هذه المفاهيم فإن المزابين أولوا للبنت وللمرأة عناية بالغة، وأخصوها بأنظمة ومؤسسات لرعاية شؤونها والقيام بمصالحها، يمكن استجلاؤها فيما يأتي:

4:1 موقع البنت في المجتمع المزابي قديما وحديثا.

على مر الزمن كانت البنت في المجتمع المزابي الركن الركين، ولا تزال ينظر إليها على أنها حصن الهوية وحامية الذاكرة، فهي المربية والموجهة والمراقبة، هي بوصلة المجتمع ونبضه واستمراريته، وهي العمود الفقري لما تقوم به من دور فعال في حماية القيم وتمريرها واستمرارها عبر الأجيال. وعليه فأي ضعف يعتريها سيعود بالسلب على الكل، ليس فقط في الجانب المادي، وإنما أيضا في الجانب المعنوي، فالبنت في مزاب هي الماضي والحاضر والمستقبل، هي المسير والمصير.

لذا فقد اهتمت بها التنظيمات الاجتماعية وهيئاتها، وحاولت أن تنظم مراحل حياتها؛ بنتا فزوجة فأما ،ويمكن أن نلمس ذلك من خلال استعراض المحطات الآتية:

1- تعليم البنت:

ظل التعليم النظامي أعواما عديدة حكرا على الذكور دون الإناث، وكان يعتقد أن المرأة ليست بحاجة إلى التعلم ما دام نشاطها يقتصر على البيت.[108] فكانت تُنشّأ من صغرها تنشئة منزلية، وعندما تصبح قادرة على التلقي ترسل إلى بعض "كتاتيب" النساء حيث تلقّن قسطا من القرآن، وتدرب على اكتساب بعض ا لحمرف الضرورية لحياتها كالخياطة والغزل والنسيج؛ لاسيما الزرابي والألبسة الصوفية، و تُعود على إدارة شؤون المنزل، فإذا اقتربت من سن البلوغ دُربت تطبيقي ا على الصلاة وما يتعلق بها من فقه ،وقد يتفوق بعضهن في الدراسة فتختم القرآن الكريم وستظهره، أو تبدي مهارة في تعلم ا لحمرف، فتصير معلمة بعد أن كانت متعلمة.

وقد ارتكز إعداد البنت في هذه المرحلة ،على هدفين أساسين:

- هدف ديني: تعليم البنت أمر دينها، من عقيدة وصلاة وغيرها من الأركان الخمسة، وتحفيظها أكبر قسط ممكن من القرآن الكريم.
- هدف دنيوي: تعليمها التدبير المنزلي وبعض الحمرف التي تساعدها في تسيير بيتها وتجهيزه ،ومساعدة زوجها على أعباء الحياة، بما توفره من مداخيل جراء ما تبيعه من صناعة يدها في السوق المحلية.

مع نهاية الأربعينات من القرن العشرين، ظهرت بوادر إصلاح تعليم البنات وانتظامهن في المدارس الحرة،[109]. إذ انطلقت التجربة مع مجموعة قليلة، في جو قد بلغت المعارضة عليه–حسب شهادة أحد

108 الحاج موسى بن عمر. 14 أبريل 2013 . "المسألة الثقافية في الجزائر وإسهام مزاب فيها: التعليم العربي الحر بالجزائر" At website:htt://www.univmanar.org

109 يقصد بالمدارس الحرة ؛ المدارس الأهلية ، وقد سميت بـ)الحرة(تمييزا لها من المدارس الرسمية الحكومية التي كانت اللغة الفرنسية فيها لغة التدريس وما سمّي بـ)المدرسة الحرة(في الجزائر، أو)المدرسة القرآنية(في تونس، أو)المدرسة الأهلية(في القاهرة، وهو ما يقابل التعليم

الخاص حاليا إنما هي أسماء متعددة لمسمّى واحد، ومعنى أوحد، هو أن هذه المؤسسة التربوية، نابعة من الشعب، قائمة بعرقه وجهده، فارضة

معلمي البنات بغرداية وهو السيد عمر بن إبراهيم راس النعامة، في مدونته "رسالة حول تعليم البنت بغرداية ،منذ ماي – ديسمبر 1952"- إلى رشق رواد المدرسة من المعلمين والتلميذات بالحجارة ورشهم بالماء والرماد، وكان الضباط الفرنسيون الذين كانوا على رأس الإدارة العسكرية لملحقة غرداية أمثال كاستيلي وقوتي ودي كوستونز هم ممن تربصوا بالمدرسة والقائمين عليها.[110]

ومع الوقت تكاثر عدد البنات المقبلات على التعليم، ففتحت في مزاب مدارس خاصّة بهن. أمّا من نشأت منهنّ في مدن الشّمال الجزائري، فقلّ ما تتخلف إحداهنّ عن الدّراسة في صباها، ثم مع الوقت أخذت نزعة تعميم تعليم البنت تنفذ حتّى إلى أكثر المدن المزابية تحفظا.[111]

و كان من نتائج هذه المبادرة أن أصبحت الخريجات ينشرن العلم ويوسعن من رقعة المتعلمات في المجتمع ،وتوسعت الصناعة الحرفية لدى النساء بأكثر مهارة وأكثر إتقانا، وقطع الطريق على مراكز الأخوات البيض[112] التي كانت تهدد أسس شخصية البنت والأسرة والمجتمع.[113] واستمرت مساعي القائمين على

وجودها على محتل البلاد، يكيد لها بالمكر، فتقوى عليه بالعزيمة، يقهرها بالقوة حينا ، فتستعصي عليه بالحق أبدا ، يذلّ القائمين عليها ماديا ، وقد يصل ا ملإذلال إلى الجسد، ولكنهم برسالتهم، وفي معنوياتهم أحرار، فوق بطش العدو وقهره، وما تسموا في عهد المستعمر ب)المعلمين الأحرار(إلا مصداقا لذلك، وما انتسبت مؤسستهم إلى القرآن، أو الأهل، أو الحرية، إلا رم وزا لأهداف بعيدة. صَالح الخرفي . 1990."المدَامرسُ وَالمعَامهدُ العليا دَوْرهَا في النهْضَة العَربية الحديثة". ص. ص 47.27.

110 الحاج موسى بن عمر.14 أبريل 2013 . "المسألة الثقافية في الجزائر وإسهام مزاب فيها: التعليم العربي الحر بالجزائر" At website:htt://www.univmanar.org

111 المرجع نفسه.

112 الأخوات البيض "les sœurs blanches" نساء تابعات للكنيسة أثناء الاستعمار الفرنسي ، يقمن بأنشطة تعليمية وطبية لفائدة المرأة الجزائرية ، والغاية منه استمالة قلبها تجاه إنسانية الكنيسة والاستعمار.

113الحاج موسى بن عمر.14 أبريل 2013 . "المسألة الثقافية في الجزائر وإسهام مزاب فيها: التعليم العربي الحر بالجزائر" At website:htt://www.univmanar.org نقلا عن : دبوز. د.ت. أعلام الإصلاح في الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث. ج 3. ص. 106.

تطوير التعليم الأهلي للبنات حتى اكتملت حلقاته، من الابتدائي إلى الجامعي. هذا إذا نظرنا إليه من الجانب الشكلي، أما الجانب الموضوعي فلا يزال بحاجة ماسة إلى الإصلاح والتطوير.

الحياة الاجتماعية:

كما الرجل، تحكم المرأة قواعد اجتماعية متعارف عليها بين المزابيين لا يمكن تجاوزها، فالولائم والمآتم مقننة، وسفر المرأة وغياب زوجها عنها مقنن أيضا، وطرق التعاون ومساعدة الأرامل والمحتاجين تخضع لنظم تشرف عليها مؤسسات أهلية، حتى العمران يراعى فيه قواعد تصون حرمة المرأة في الزمان والمكان، وعلى الرجل الالتزام بها داخل النسيج العمراني.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وكأمثلة على هذه النظم، يمكن ذكر بعضا من اتفاقية مجلس عمي سعيد[114] والذي يمنع سفر المرأة خارج مزاب [20]: "هذا وقد اجتمعت أعضاء القرى السبع لوادي ميزاب...واتفقنا بعد أن قرأنا الفاتحة، على أننا لا نرضى على أي ميزابي أن يُخرج زوجته أو ابنته أو أية حرمة مزابية مطلقا، أي لا يخرجها من ميزاب إلى بلدة من سائر البلدان مطلقا، غير إحدى قرى ميزاب المذكورة، فجعلنا ذلك حدا محدودا، وحائطا مشيدا

[114] المجلس الأعلى للعزابة في وادي مزاب بالجزائر، مسُمّي بمجلس عمّي سعيد والأصل ''أمّي سعيد'' لأنه كان يعقد اجتماعاته في روضة الشيخ أمّي سعيد بن علي الجربي بمدينة تغردايت بمزاب.

يضم ممثلي مجالس العزابة في قرى وادي مزاب السبعة وواارجلان، ولذلك يعتبر المجلس الأعلى لإباضية الجزائر، ويعيَّن أكبر علمائه وأكثرهم حصافة وشجاعة لرئاسته، فيكون شيخ وادي مزاب كله، وكان في الماضي، توضع عمامة على رأسه، وهذا التعميم كالتتويج دليل على الرئاسة والتقدّم.

ينعقد هذا المجلس في دورات عادية، وقد ينعقد بصفة طارئة إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

وترفع إليه القضايا الكبرى كالإفتاء والاجتهاد في القضايا الفقهية والنوازل، ويقوم بوظيفة محكمة الاستئناف، بإصدار أحكام نهائية.

من مهامه:

-اختيار الأقوال الفقهية التي يجب أن يفتي بها العزابة أو يقضي بها القضاة في المسائل الخلافية.

-سنّ القوانين في دائرة الدين لتصبح عرفا اجتماعيا ملزم ا.

-فضُّ المشاكل العامَّة التي تحدث في وادي مزاب وواارجلان، والاجتماع على طرق الخروج من الأزمات الطارئة كنائبة نزلت أو عد وّ مُغير.

-تولية المشايخ في المساجد للوعظ والإفتاء.

-مراقبة أوقاف الإباضية في الجزائر وخارجها ومتابعتها.

-وضع اللوائح الداخلية التي تخصُّ سير الحياة بالمدن بشكل عام، مثل تجويز التعامل بسكّة نقد معينة، أورفض أخرى أجنبية مثلا ماضيا، وكذلك تحديد المكاييل والموازين إلخ.

على أنَّ سلطة الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي احتل مزاب سنة 1882م، قد حدَّت كثيرا من مهام هذا المجلس، فبعد أن كانت له سلطة فعلية في المجال الاجتماعي والقضائي والاقتصادي والسياسي، توارثها منذ القديم، تقلصت هذه الوظائف الحيوية، وألغيت كثير من المهام. ولم يبق له اليوم إلاّ المجال الديني، وبعض القضايا الاجتماعية المحلية.

http://www.taddart.org/?p=2375

[20] اتفاقية مجلس أمّ سعيد تغردايت يوم 28 مارس 1928

المصادر: اتفاق يات المجالس العامَّة لميزاب، كلها .طلاي إبراهيم: مزاب بلد كفاح، 50. المدن السبع ،39 .دبوز: نهضة الجزائر الحديثة ،231/1، 232، 214 .معمر علي يحيى: الإباضية في موكب التاريخ، ح4)الإباضية في الجزائر(، 236/1 .النوري: نبذة من حياة الميزابيين ،164/1.

خليفات: النظم الاجتماعية، 17، 53-56، 108 .أُعوشت بكير: وادي ميزاب في ظملّ الحضارة، 111، 112 .الحاج سعيد يوسف:

تاريخ بني مزاب ،50، 51 .اسماوي صالح: العزابة ودورهم، 1/ 275، 281 .خواجة عبد العزيز: الضبط الاجتماعي ،140- 141 . 28-29. Zeys E. : ، Y. : Institutions traditionnelles، 160. Daddi Adoun،Amat: Le M' zab et les Mozabites 53،Les Législations

مرصوصا، وسدّا وثيقا، فمن تعداه فقد تعدى حدود الله، ولزمته دعوة السوء من المذهب وعليه اللعنة والخزي في الحياة الدنيا والآخرة. "

كان هذا قرارا ملزما لكل بلاد مزاب، بعد أن كانت قرارات مشابهة قد صدرت من مدن دون أخرى ،منها ق رار جماعة بلدة بني يسجن في أبريل 1899م والذي نصه: "لا يُخ رج أحد زوجته من أهل البلد إلى مدن التل مطلقا، كما هي عادتنا واتفاق أهل بلدنا الأولين منهم والآخرين، وإن كان أحد يريد أن يسافر بزوجته إلى البيت الحرام، فليس ذلك ممنوعا" [116]

وقد يستغرب البعض هذا التقييد والتشديد على سفر المرأة قديما، ويراه قرارا قاسيا وتدخلا سافرا في حرية الفرد وأسرته، إلا أنه جاء بناء على اعتبارات موضوعية يمكن حصرها في:

أ-استقرار المرأة بمزاب تجعل الزوج مرتبطا بوطنه، ينفق عليه بسخاء ويسهم في ازدهاره ورفاهيته، وهذا ما يفسر النمو الاقتصادي والعمراني لمزاب بسواعد أبنائه، وانتشار القطاع الاقتصادي الخاص على نطاق واسع .

ب–استقرار المرأة بمزاب مع أبنائها، تجعلهم يتشبعون أكثر بقيم مجتمعهم ويتشبثون بتقاليد أجدادهم ويعتزون بموروثهم الحضاري، وهذا ما يفسر حفاظ المزابيين إلى ي ومنا هذا على هويتهم الثقافية؛ من لغة ولباس وعمران وعادات وتقاليد متميزة، صُ نفت ضمن التراث العالمي المادي وغير المادي. [21]

ج–انعدام الأمن والأمان ،فإذ كان السفر في الماضي شاقا ومحفوفا بالمخاطر بوجود المحتل وانتشار اللصوصية والتعرض للناس في الطرق .فلا ريب أن ذلك سيعرض الم رأة المسافرة لأخطار لا حصر لها.

[116] الحاج سعيد يوسف .د.ت .تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية. غرداية: المطبعة العربية .ص. 160

إلا أنه بعد الاستقلال في 1962م بدأ التساهل مع هذه القيود، خاصة في حالة انتفاء الأخطار، وضمان الزوج لزوجته وأسرته حياة كريمة بالشمال؛ يراعي فيها الحفاظ على دينها وهويتها وعدم الانقطاع عن البلد الأم مزاب.

ومن النماذج التي يمكن ذكرها في مجال احترام مكانة المرأة في المجتمع المزابي، مضمون عقد الزواج ،فإلى جانب الشروط الشرعية والقانونية المتعارف عليها، فإن على ولي البنت أن يحرص على تضمين العقد شروطا أربعة، على الزوج احترامها والتقيد بمقتضاها، وإلا فللزوجة أن تخلع زوجها وتخرج من عصمته متى تم اختراق واحدا منها، إذ يقول الولي للزوج في مجلس العقد، جوابا على طلب يد بنته :"زوجتك فلانة بنت فلانة على كتاب الله وسنة رسوله وشروط بنات عمّها " وهذ الشروط هي:

1– أن لا يغيب عنها أكثر من سنتين.

[21] At website: http://whc.unesco.org/en/list/188 .مزاب تراث عالمي

2- أن لا يرتكب كبيرة، كالزنا والسرقة وشرب الخمر و التدخين وغيرها من المخدرات.

3- أن لا يُسفّرها إلا برضاها.

4- أن لا يتزوج عليها إلا بإذنها و رضاها.

وكل هذا إمعانا في المحافظة على استقرار الأسرة وتماسكها، وإبقاء المجتمع بعيدا عن الهزات والاضطرابات التي قد تؤدي به إلى التفسخ والاضمحلال. إلا أنه مع مرور الوقت وبفعل عامل التأثر بالمحيط، وزيادة اندماج المزابيين في الحياة العامة، فقد قل مفعول هذه الشروط، فصار المزابي مثله كمثل غيره من المجتمع الجزائري في غالب مناحي الحياة ،حتى صارت من المزابيات خريجات الجامعة الحكومية؛ الطبيبة والمهندسة والأستاذة الجامعية، والمنتخبة في المجالس البلدية والولائية، ومنهن من انضمت إلى جيش التحرير أثناء الثورة التحريرية) 1954-1962([22]

إلا أن هذا النوع من النساء قليل بالمجتمع المزابي، فأغلبهن نساء م اكثات في البيوت، ولا يمارسن وظيفة خارجية إلا نادرا، ففي اعتبارهن واعتبار الرجال؛ أن أهم وظيفة خلقت من أجلها هي تربية الأولاد وعمارة بيت الزوجية والاستقرار فيه.

3- الحياة الاقتصادية:

لقد أثرت قساوة الطبيعة الصحراوية الصخرية إيجابا على سلو المزابيين، فصار العمل عندهم ،قيمة تلازمهم طول الحياة، فعلى كل فرد في المجتمع أن يكد ويتعلم حرفة تدفع عنه الفقر، وتعلمه الاعتماد على النفس وعدم انتظار المساعدة من الغير. لذلك فإن من ضمن ما تتعلمه البنت منذ صغرها إلى جانب

[22]النوري حمو محمد عيسى .د.ت .دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما و حديثا. د.م .م 3. ص .272 -273

شؤون البيت المختلفة نسيج الزرابي والألبسة الصوفية، والخياطة وغيرها، فالبنت مطالبة بنسج أفرشة بيت الزوجية، وإن لم تقم بذلك عدّ عليها منقصة وضعفا، كما عليها أن تنسج وتخيط لباس زوجها وأولادها، وأن تكون المفروشات التقليدية لبيت استقبال الضيوف من صناعة يدها، كذا الأطباق المختلفة التي تقدم للضيف وإلا عدت ناقصة ولا تستحق لقب ربة بيت .

"لقد كان اقتصاد المنطقة يتعاون على حمله كلا الجنسين، فبينما يظل الرجل في بستانه مكابدا لقساوة الطبيعة وصادّا لغارات البدو، كانت المرأة في منزلها تغزل وتنسج، علاوة على قيامها بشؤون البيت المعروفة."[23]

فإلى عهد قريب كان النسيج في مزاب ،يمثل موردا رئيسا في توفير حاجة المزابيين من الملبوسات الصوفية، والفائض منه يتم مقايضته بالمادة الأولية وبعض المواد الغذائية التي يأتي بها البدو للبلد كالسمن والقمح وغيرها، وكانت المرأة هي سيدة هذا القطاع الإنتاجي بلا منازع، وكانت يديها تدر ذهبا، إذ ذكرت التقارير الاستعمار الفرنسي أنّ قيمة ما تنتجه النساء المزابيات من المنسوجات الصوفية في القرن التاسع عشر الميلادي،)19م(تقدّر بما يقارب 000.70 قطعة سنو يا، ب20 فرنك فرنسي للقطعة الواحدة، وكانت حوالي 000.7 امرأة مزابية تشتغل في النسيج بالبيت ،بقوة إنتاجية تساوي 10 قطع سنويا للمرأة الواحدة، وإذا علمنا أن المزابيين يدخلون إلى مزاب ثلاثين ألف جزة صوف سنويا، ثمن الواحدة 50.2 فرنك، وكل ثلاث إلى أربع ج زّات صوف كافية منها لإنتاج قطعة نسيج واحدة، سنجد أنّ النساء المزابيات في السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي)1879م(يدخلن إلى مزاب ما يقارب 000.700 فرنك

[23] الحاج سعيد يوسف. 1992. تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية. غرداية: المطبعة العربية .ص. 52.

فرنسي سنويا.[120] إلى جانب قيمة الإنتاج الذي تمتاز بها المرأة بمزاب فهي تمتاز أيضا بقيمة الاقتصاد في المعيشة وترشيد الاستهلا [121]، فلا يسمح بالتبذير بكل مظاهره، والاستهلا يكون فقط على قد والأم هي الحارس الأول والضابط لهذا السلو ، حيث تنشّئ عليه أبناءها الذين سيعيدون إنت اج نفس الأنماط الاجتماعية؛ فيصبح العمل وتقديسه، والحرص على الاقتصاد ونبذ الإسراف عادة، وخاصية نمط عيش، مبني على الاكتفاء الذاتي والتكيف مع معطيات الحياة مهما كانت ،إلا أن تطور الحياة وما شهدته أنماط المعيشة من تحولات عميقة، لم تُبق للمرأة ذلك الد ور الاقتصادي كما كان، حيث قلّ إنتاجها الحرفي ،

n° 23. Algérie: office des publications ،292 Adrienne COYNÉ. 1879." Le Mzab".Revue africaine universitaires.P.193.

293 Amélie Marie GOICHON. 1927. *La vie féminine au Mzab: étude de sociologie musulmane*. Paris: La Librairie Orientaliste Paul Geuthner. P.60.

وتحولت من منتجة إلى مستهلكة في غالب الأحيان، واختفت من بيتها وسائل الانتاج الحرفي إلا نادرا ،وحلت محلها وسائل الرفاهية المنزلية التي أث رت بشكل واضح في تعاطيها مع القيم الموروثة.

2:4 الهيئات الاجتماعية التي تعنى بالبنت المزابية.

يمكن تصنيف الهيئات المهتمة بشؤون البنت في مزاب إلى أربع مؤسسات رئيسة، حدد لكل واحدة منها دورا واختصاصا، فحلقة "تمسردين" تختص بالجانب الديني ،والعشيرة بالجانب الاجتماعي، والمدرسة الحرة بالجانب التربوي، و الجمعيات الخيرية بالجانب الإنساني.

2:4:0 هيئة الغاسلات" متم

مسمرمدين" أ- تعريف:

هي هيئة تتفرع عن حلقة الع زّابة التي تعدّ الهيئة الروحية العليا بمزاب[122]، فكما لحلقة الرجال "إمسيريدن" وهم غاسلو الموتى من الرجال فلحلقة النساء "تمسردين" ؛ غاسلات الموتى من النساء والأولاد

122 هي هيئة ———————تش رف على س ير الحياة الدينية——————— وا لاجتماعية في البلدة، وتتكوَّن من خيرة أهل البلد علما وص لاحا، وقد أنش أ هذا النظام الش يخ أبو عبد الله محمَّد بن بكر الفرس طائي س نة 1018م. فكلمة ع زّابة أص لها إعزابن جمع أعزاب بالأمازيغية، وهم الرّعاة الذي يجبون البلاد بش ياههم بحثا عن الكلإ ، وهو ماكان يقوم به مؤس س حلقة العزابة من وادي ريغ إلى بلاد مزاب، التي كانت على مذهب المعتزلة ، وكانت غايته الاس اس ية إيجاد مرعا لفكر الإباض ية بهذه الربوع .والذي أدى إلى تطبيق هذا النظام هي الظروف التي مرت بالإباض ية منذ نهاية القرن الهجري الثالث إذ سعى علماؤهم إلى وضع أسس يمكن عن طريقها تطبيق الشريعة الإسلامية بين تجمعات الإباضية ما دامت الدولة القائمة عاجزة عن ذلك وما دامت الظروف لا تمكنها من إعادة بناء دولتهم. وأول من تص دى لهذا العمل هو العالم الإباض ي الكبير أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرس طائي في أواخر القرن الرابع الهجري، فدرس الأوض اع العرفية التي كانت تحكم المجتمع الإباض ي مستند ا إلى تشريعات الإسلام ووضع دستور ا عرف "بنظام العزابة" يعتبر من أقدم القوانين التي وضعت في المجتمعات الإسلامية ثم جاء بعد أبي عبد الله عدد من العلماء عنوا بدراس ة هذا القانون وأض افوا إليه بعض المواد أطلق عليه "س يرة العزابة "الع زابة، هي هيئة محدودة العدد تعمل وفق ا لضوابط معينة للإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية ويمثل الع زابة الإمام ويقومون بعمله في حالة غياب الدولة الإباضية ويجب توفر شروط محددة في الشخص لكي ينضم إلى حلقة العزابة من أهمها حفظ قسط من كتاب الله تعالى، وتوفر المس توى الدراس ي المطلوب للمهمة ، مع الرغبة في مواص لة العلم وأن يكون متدين ا عفيف ا طاهر الباطن والظاهر هذا من الناحية

"، إلا أن مصطلح الع زّابي لازم الرجل ومصطلح "تمسيردت" لازم المرأة، رغم أن الطرفين ينتميان لنفس الحلقة وإن اختلفا في الأدوار.

يمكن تعريف هيئة "تمسردين" بأنها، الهيئة الاستشارية لحلقة الع زّابة والمجلس الديني الأعلى الذي يشرف على قضايا المرأة في المدن السبع بمزاب، ويتكفل بشؤونها الاجتماعية والدينية والأخلاقية ،ويتكون في الأصل من اثنتي عشرة عضوة، يتصفن بالعلم والورع والقيادة، وقد يزيد عددهن أو ينقص حسب حاجة البلد وتعدد المهام. وتترأس هذا المجلس "مامه شيخة" التي يتم الموافقة عليها من بقية العضوات، وتكون بذلك زعيمة "تمسردين" وشيخة المجلس الديني النسوي الأعلى في البلدة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تتمتع هيئة "تمسردين " بشخصية معنوية، وذمة مالية مستقلة تتشكل من مداخيل الأوقاف التي تحبسن لهن خصيصا، ومن التبرعات والصدقات، ولهن مقر دائم خاص بهن يعود لأملا الوقف العامة؛ مفتوح

العلمية وعلى الشخص أيضا المحافظة على زي العزابة الرسمي وأن لا تكون له مشاغل دنيوية تجعله يتردد على الأسواق والمحال العامة حفاظا على مهابته، ومن مهام حلقة العزابة:1- الإشراف العام على كل ما يتعلق بالمجتمع الإباضي وهي الوظيفة البديلة لوظيفة الإمام، ويقوم بهذا المنصب شيخ حلقة العزابة. 2- القضاء فيما يقع بين الناس من مشاكل والفصل في القضايا ورد الحقوق إلى أهلها وتأديب العصاة والمجرمين وحفظ الأموال ومراقبتها والحراسة على أموال الناس. 3- ضبط ميزانية الحلقة بالإشراف على الأوقاف وتنميتها وصيانتها ورصد الصادرات و الواردات. 4- الإشراف على الشؤون الاجتماعية وتفقد أحوال الناس لتقديم المساعدات سواء من ميزانية الحلقة أو بتكلف ذوي اليسار أو بإيجاد الأعمال لمن له القدرة على ذلك .5- الإشراف على التعليم والعمل على إتاحة الفرصة لكل الأطفال لينالوا قسطا منه ورصد جزء من ميزانية الحلقة لأعمال التعليم وإعانة الطلبة .6- الإش راف على العلاقات الخارجية بين المجموعات الإباض ية وبينها وبين غيرها وتنظيم تلك العلاقات في حالتي الس لم والحرب. فحلقة العزابة بذلك تكون حكومة متكاملة بالمفهوم الحديث على رأس ها رئيس الوزراء هو ش يخ العزابة وتتألف وزاراته من وزراء للعدل والخزانة والأوقاف والش ؤون الاجتماعية والتعليم والخارجية. لحلقة العزابة ض وابط لمعاقبة من يخرج على نظام الحلقة من أعضائها فان ارتكب أي عضو مخالفة يوقع عليه العقاب بقدر الخطأ فان كانت المخالفة صغيرة عقد له مجلس تأديب سري يراجع فيه العض و، وقد يبعد عن الحلقة لمدة تقررها الحلقة، أما إذا كان الخطأ كبير ا يتص ل بمعص ية الله حكموا عليه بالبراءة ولا يرفع عنه هذا الحكم حتى يتوب علن ا وليس له الحق في الرجوع إلى حلقات العزابة. تتمتع أفراد العزابة بمكانة كبيرة في نفوس المواطنين لس لوكهم الحميد ونزاهتهم وتفانيهم في خدمة المجتمع ولذلك فإن قراراتهم كانت تنفذ بدقة وترض ى بها كل الأطراف، وتوجيهات الع زابة يعمل بها عن رض ى وقناعة. لحلقة العزابة مجلس استشاري للعزابة هو "منظمة إيروان" وهم جماعة من حفظة القرآن والمشتغلين بالدراسة ولهذه المنظمة القوة الثانية بعد العزابة فهي كمجلس النواب بالنسبة للشيوخ وقد يسند إليها العزابة بعض الأعمال. على يحي معمر، الإباضية في موكب التا ريخ الحلقة الأولى، نظام العزابة والحلقة الثانية من نفس الكتاب فصل عن نظام التربية والتعليم عند الإباضية.

طوال أيام السنة، يستقبلن فيه نساء البلدة، وتعقد به الاجتماعات النسوية تحت إشرافهن في المناسبات المختلفة، ولهن في بعض المدن مدارس وديار لتعليم الفتيات وتفقههن

ب- المواصفات المطلوبة في "تمسيردت":[24]

[24]طلاي إبراهيم . 1991م. مزاب بلدكفاح. قسنطينة: دار البعث. ص 84

تتولى المسؤولية في المجلس النسائي الديني، نساء من ذوي الكفاءة والتمثيل، وتتولى "تمسيردت" مهمتها مدى الحياة، ويتم اختيارها وفق الشروط الآتية[25]:

1- التحلي بالأخلاق الفاضلة: أن تتحلى بمكارم الأخلاق، وتلتزم بالعفة والزهد والورع وحسن العشرة والتواضع ولين الجانب، مع التزام الحزم في تطبيق أحكام الدين، وتنفيذ نظم الحلقة وأوامرها مع نفسها ومع غيرها من النساء، وتتفرغ كلية للعلم والدعوة والعبادة وإقامة الدين وشعائره في المجتمع النس وي.

2- الكفاءة العلمية والنفسية: أن يكون لها إلمام بعلوم الشريعة والفقه الإباضي، وعارفة بقيم المجتمع وعاداته وتقاليده وتاريخه، ومطّلعة على خفايا عالم المرأة وأحوالها، تملك الشجاعة الأدبية، فصيحة تحسن الخطابة ،ذات حنكة ورصانة، تتصف بالهدوء والصبر وطول ال نَّفس، تعالج قضايا المرأة بأناة ومشورة و نُضج؛ بعيدا عن الانفعال أو استعجال الحلول.

وقد شهدت هذه الهيئة، كفاءات نسوية عالية، اعترف بشجاعتهن وحنكتهن المؤرخون والسياسيون ومن أشهرهن ،المجاهدة ‘‘ماما نسليمان" كبيرة "تمسردين" لبلدة تغردايت[26] التي تصدت للاستعمار الفرنسي عندما وصل منطقة مزاب سنة 1882م، إذ تزعمت مؤتمرا سنويا تقرر على إثره –

---

[25]عبد الله نوح .1994م .النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب .) رسالة ماجستير(.جامعة الجزائر . ص . ص 266،267. اسماوي صالح. 1997م . نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي مزاب.)رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي(. جامعة الجزائر. ص.95.

[26]"باباز مامة بنت سليمان بن ابراهيم")1863- 1931م(من مدينة تغردايت ، نشأت في جو عائلي مؤمن محافظ ومتفتح، وتربت تربية إسلامية رفيعة شأن اهتمام العائلات الإباضية المتشبمثة بإيمانها وعقيدتها وعاداتها وتقاليدها الإسلامية الصحيحة. تعلمت القراءة والكتابة بإتقان.

حفظت نصف القرءان الكريم عن ظهر القلب، فهي شغوفة بتعلم دينها وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين والمجاهدات

تنفيذا لقرار حلقة الع زّابة – مقاطعة كل ما هو فرنسي؛ لباسا كان أو مؤونة، ونظمت مقاومة سلمية ضد المحتل دامت ثلاثين) 30(عاما، سبقت مقاومة الزعيم الهندي " المهاتما غاندي "بسنوات،[27]

3- التمثيل العشائري: يراعى في تشكل مجلس "تمسردين" ، تمثيل العشائر والأعرا الموجودة بالبلد، ليشعر الجميع أنهم ممثلين في المجلس، مما يساعد على استقراره واستمراريته و انقياد كل أطياف المجتمع النسوي لتوجيهاته وأوامره.

المسلمات العفيفات الطاهرات وعلوم الشريعة ومبادئ اللغة العربية ونحوها وصرفها ومبادئ المذهب الإباضي وعقائده وفقهه. حفظت عقيدة التوحيد وحفظتها وعلمتها.

تأثرت بالمؤلفات الإباضية فدرستها فكانت لها نبراسا تستضيء بها وتنمور غيرها في المجامع والحلقات.. فصيحة باللسان العربي المبين واللهجة البربرية والكتابة بها، شيوخها كثيرون منهم: الشيخ ''الحاج بابكر مسعود القاضي''، والشيخ ''بهون بن موسى'' والشيخ ''باحماني المليكي'' والشيخ ''أحمد دادي واعمر'' وعن زوجها الشيخ ''يعقوب غرناوت ''وابنها ''الحاج بكير بن عمر موسى واعلي.''

جهادها في الحقل الاجتماعي والسياسي و الاقتصادي ثري ومتنوع، لم تبخل بما لديها لخدمة الإسلام والمجتمع دفاعا عنهما يتفان وإخلاص، وبكل ما أوتيت من قوة، مستغلة مواهبها وعلمها وأوقاتها من أجل ذلك. متفانية في تعليم المجتمع النسوي وتوعيته وترشيده متحمسة لتبصيره وتثقيفه مخلصة في توجيهه، فتحت منزلها كمدرسة لتعليم القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعقيدة والفرائض كالصلاة والصوف والفقه، تقوم بترشيد النساء ووعظهن في حصص أسبوعية منتظمة باستمرار، وتكثيف ذلك في شهر رمضان، في أواخر القرن الماضي) 19(أصبحت ضمن ''حلقة العزابة النسوية'')تمسيردين(بغرداية، فأعطت لها نفسا جديدا بجهادها ونشاطها أصبحت فيها ''مَامَّة مشيخة'' رئيسة)1906م(خلفا للمرحومة ''مامة بنت بالحاج.''

اهتمت بمناصرة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما حلت وارتحلت، وتطبيق مبدأ الولاية والبراءة دون خوف أو وجل ولا تخاف في الله لومة لائم، اهتمت بإصلاح ذات البين، يستشيرها "العزابة" والأعيان ويحاورونها في المسائل الدينية والاجتماعية والثقافية من وراء حجاب، لها أعوان من النساء في غرداية وقرى الوادي يسترشدن بها ويطبقن تعاليمها ويحاربن الفساد والجمود، انتهجت طريقة الكفاح السلمي ضد الاستعمار الفرنسي لما غزا ميزاب بجيوشه) 1882(ومقاطعة المنتوجات الفرنسية وتشجيع الصوف ونسج الملابس الصوفية فكانت أسبق من ''غاندي'' في الكفاح السل ."

حرفيا عن، اسماوي صالح. 1997م . نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي مزاب.)رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي(. جامعة الجزائر. ص.488-489

---

[27]اسماوي صالح. 1997م . نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي مزاب.)رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي(. جامعة الجزائر. ص.96. أعوشت بكير وآخرون. د.ت .مسلمات صالحات في روضة الإيمان. غرداية. الجزائر: المطبعة العربية. ص.96.95

4- بلوغ عمر محدد: يشترط في "تمسيردت" أن تكون قد بلغت سن اليأس، وقد صارت ناضجة العقل وحصيفة الرأي، قد ج ربّت الحياة وخبرتها، واستوفت شروط القيادة التي تؤهلها للحل والعقد واتخاذ القرارات المناسبة في مختلف المواقف والمناسبات.

5- عدم الارتباط: أن تكون غير مرتبطة بواجبات الزوجية أو الأولاد، فيجب أن تكون أرملة أو مطلقة، ولا يوجد تحت كفالته أولاد صغار، هذا حتى تتفرغ للمسؤوليات التي يقتضيها منصبها الديني من وعظ وإرشاد، والتكفل بحل الخلافات المتعلقة بعالم المرأة، والرد على انشغالاتها واستفساراتها واقتراحاها.

ج- طبيعة مجلس تمسردين:

يعد مجلس تمسردين الهيئة الاستشارية الأولى لحلقة العزابة فيما يتعلق بشؤون المرأة، لذلك فإن للهيئتين)الع زّابة، تمسردين(نفس المرتبة في هرم السلطة الدينية في المجتمع الم زابي، ولا يمكن لحلقة العزابة أن تصدر أي تشريع أو قرار أو فتوى تتعلق بالمرأة من غير استشارة هيئة تمسردين وأخذ موافقتها، لأنها هي العارفة بالمجتمع النسوي، والمنفذة لقرارات حلقة الع زّابة فيه.

فطبيعة هذا المجلس طبيعة استشارية تنفيذية، ولا يملك صلاحية التشريع إلا من خلال حلقة الع زّابة وفي حدود ما تسمح به.[28] د- مهام مجلس "تمسردين":

[28]عبد الله نوح .1994م .النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب .) رسالة ماجستير(.جامعة الجزائر . ص 267

مهام هذا المجلس دينية بالدرجة الأولى، وقد يكون لها امتدادات تربوية واجتماعية واقتصادية أحيانا، يمكن حصرها كالآتي:

1- تقديم مختلف المقترحات لحلقة الع زّابة فيما يتعلق بتسيير الجوانب الدينية والاجتماعية لنساء البلدة كتنظيم الأعراس والعزاءات، وغيرها من المناسبات الاجتماعية والدينية.

2- غسل الأموات من الإناث والأولاد، والتحقيق في بلوغ الفتيات، والبت في مسائل الزواج والحمل والرضاعة وكل ماله علاقة بفقه النساء.

3- عقد مجالس تلاوة القرآن الكريم، ووعظ النساء وتفقيههن و إرشادهن إلى ما يصلح أحوالهن الدينية و الاجتماعية، والرد على استفساراتهن الدينية.

4- السهر على تنفيذ التشريعات العرفية، وقرارات حلقة الع زّابة المتعلقة بتنظيم الزواج والعزاء ومختلف العادات والتقاليد. إذ تقوم الهيئة في هذا الصدد بـ: [29]

- مراقبة مهور الزواج من حيث مطابقتها للقيمة التي حددتها حلقة الع زّابة.
- مراقبة الألبسة والذهب والهدايا وتجهيزات بيت العروس، ومدى التزام جميع الأطراف بتعليمات الع زّابة من حيث النوع والقيمة المالية.

[29] عبد الله نوح .1994م .النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب .) رسالة ماجستير(.جامعة الجزائر . ص268

- مراقبة حفلات الأعراس، حتى تكون موافقة للمبادئ الإسلامية، وتُحترم فيها الأخلاق والنظام العام ،ويمنع فيه التبذير، وتعاين فيها نوع الوجبات المقدمة لتكون مطابقة لما حددته حلقة الع زّابة [30].

5- إصدار حكم البراءة والعزل[31] ضد النساء المجاهرات بالمعاصي، والمرتكبات للكبائر والأعمال المخلة بالحياء والشرف والنظام العام، والمخال مفات لقرارات حلقة الع زّابة فيما يتعلق بتنظيم شؤون البلدة وتسييرها .وإذاكانت المخالفة بنتا قاصرة، فإن المسؤولية تتعدى للأم أومن يقوم مقامها، وتستعين الهيئة في التأكد من ارتكاب المخالفات بذوات الكفاءة والخبرة والنزاهة والورع ممن يحظين بثقة المجتمع.

وتعلن رئيسة "تمسردين" عقوبة البراءة والعزل على المخالفة إذا كانت بالغة، وعلى أمها أو من يقوم مقامها إذا كانت قاصرة، ويتم ذلك في مقر الهيئة وبحضور جمع من نساء البلدة، وعلى المعاقبة أن تبادر بالتوبة التي لا تقبل منها إلا بامتثالها أمام مجلس "تمسردين"، ولا يرفع عنها العزل إلا بعد صدور قرار العفو والإعلان عنه بنفس الطريقة التي أعلنت بها البراءة.

6- التدخل لحل الخلافات الزوجية والأسرية وإصلاح ذات البين. فللطرف المتضرر، أن يلجأ لهن، فيسْ عَ ين لدى المتخاصمين بما لديهن من رصيد ديني ومعنوي، وفي غالب الأحيان ينجحن في مهامهن، وفي ذلك غنى للمجتمع من اللجوء إلى المحاكم ومتاهات التقاضي المعقدة.

7- كما أن للزوج حق اللجوء "لتمسردين" لأخذ حقه من زوجته إذا تقاعست عن واجباتها ونشزت عنه

---

[30] لا يسمح لأحد بتجاوز المعايير والمواصفات والقيمة المالية المحددة لهذه الأعراس ، مهما علا شأنه ، حتى ولو كان غنيا ، فعليه بالالتزام بالتعليمات، وإلا تعرض للبراءة والعزل.

[31] يقصد بالعزل ، أن النساء لا يتعاملن معها ولا يجالسنها، فتشعر المخالفة بمرارة المقاطعة فتنزجر وتعود إلى جادة الصواب ، بإعلان رجوعها وتوبتها أمام مجلس تمسردين.

، فتعلن البراءة والعزل ضدها، كما للزوجة نفس الحق بأن ترفع مظلمتها "لتمسردين" ليقمن بتبليغها لحلقة العزابة لتبت في الأمر، فإن ثبت ادعاء الزوجة ضد زوجها؛ تم إعلان البراءة منه وعزله بقرار من حلقة الع زّابة.[3233]

لهذه الهيئة اجتماع سنوي يعرف باسم؛ مؤتمر لا إله إلا الله، وهو يوازي مجلس عمي سعيد[34] بالنسبة للرجال، حيث يجمع أعضاء هيئات المجالس النسائية في جميع مدن مْزاب، و يناقشن فيه أهم المواضيع و المستجدات التي تواجهها المرأة المزابية.

ويجدر التنويه، أن كل ما تق وم به هذه الهيئة من أعمال، إنما يكون مجّ انا خالصا لوجه الله تعالى، لا يتقاضى عليه راتب ولا يعطى عليه مقابل إلا ابتغاء رضوان الله تعالى، ونفس الأمر ينطبق على أعضاء حلقة العزابة.

2:4:1 العشيرة:

أ-تعريف العشيرة:

تتكون كل مدينة من مدن مزاب من مجموعة عرو ، والعر الواحد يتكون من مجموع العشائر، والعشيرة تتكون من مجموع العائلات، والعائلة تتكون من مجموع الأسر، وقد تكون رابطة العشيرة رابطة

---

[32]اسماوي صالح. 1997م . نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي مزاب.)رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي(. جامعة الجزائر . ص .147

[33]عبد الله نوح .1994م .النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب .) رسالة ماجستير(.جامعة الجزائر. ص 268

[34]المجلس الأعلى لحلقات عزابة قرى امزاب و وارجلان)تم تعريفه(

نسب؛ تعود لجد واحد، أو تكون رابطة ولاء قديمة؛ تمت بفعل انضمام بعض العائلات إلى تلك العشيرة فانصهرت فيها[35].

إن العشيرة عند بني مزاب ليست وحدة عرقية بقدر ماهي وحدة تنظيمية، داخل النسيج الاجتماعي للبلدة، والدور الرئيس للعشيرة اجتماعي بامتياز، إذ تتكفل بشؤون الضعفاء والأرامل والفقراء ،وتكفل اليتامى وتختار لهم من يقوم بشؤونهم إذا مات رب الأسرة ولم يوصي لهم بوكيل، والعشيرة هي التي تؤدي دية قتل الخطأ.

ولكل عشيرة أوقافها الخاصة من توقيف أبنائها، كدار العشيرة والمقبرة وبساتين النخيل وبعض الحركات الاقتصادية، وصندوق يُموَل من تبرعاتهم واشتراكاتهم وزكاتهم وريع بعض الحركات الاقتصادية ،وتخصص إراداته لتصريف شؤون العشيرة التي يسيرها مجلس معين أو منتخب، يتكون من حكمائها و زعمائها و ذوي الرأي منهم، يرأسه رئيس العش يرة.

إلى جانب مناسبة الأعراس، يجتمع أهل العشيرة دوريا بدار العشيرة في لقاء عام، على الأقل مرتين سنويا ،عند عيد الفطر والأضحى، للوقوف على المستجدات، وتقييم الأوضاع وتحديد الحلول ونوع المساعدات للمحتاجين، كما يكون اللقاء فرصة لتكريم أبناء العشيرة المتميزين؛ كالمتفوقين في دراستهم أو المتخرجين أو الذين أنجزوا عملا يستحق التكريم والتنويه، ذكورا كانوا أو إناثا.

تتمتع كل عشيرة بالاستقلالية في تسيير شؤونها الخاصة، ولا يمنع ذلك من التنسيق مع غيرها ،في إطار مجلس العشائر على مستوى كل بلدة وبالتعاون مع حلقة العزابة، أما التنسيق بين المدن السبع

[35]عبد الله نوح .1994م .النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب .) رسالة ماجستير(.جامعة الجزائر. ص. 297

،فيتم على مستوى المجلس الأعلى لعشائر وادي مزاب،)الهيئة الاجتماعية العليا لوادي مزاب(الذي بدوره ينسق مع مجلس عمي سعيد)الهيئة الدينية العليا لوادي مزاب.(

ب –مهام العشيرة: يباشر هذه المهام مجلس العشيرة في جلسات دورية تنعقد بانتظام كل أسبوع أو شهر حسب كل عش يرة، وقد يعقد جلسات طارئة عند الضرورة.

وتنحصر مهام العشيرة في[134] :

– الإشراف على شؤون زواج أبناء العشيرة ومساعدة الفقراء منهم.

– الإشراف على صندوق العشيرة وتنميته وتسييره.

– جمع الاشتراكات السنوية ومتابعة تسديدها من أبناء العشيرة، وتحفيز المحسنين على الت برع والهبة والوقف لصالح العشيرة.

[134] علي يحي معمر. 1966م. الإباضية في موكب التاريخ،)الإباضية في الجزائر(.بيروت: دار الثقافة. الحلقة4 .ج 2.ص. 549.خليفات عوض. 1982م .النظم الاجتماعية، والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا في مرحلة الكتمان. عمان: ص . 47.48 . جهلان عدُّون. د.ت .الفكر السياسي عند الإباضية، من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش. غرداية: جمعية التراث. ص.170– 172 .الحاج سعيد يوسف.1992. تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية .المطبعة العربية. غرداية: ص.32 48، 49.

عبد الله نوح .1994م .النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب .) رسالة ماجستير(.جامعة الجزائر. ص 311.

– إحصاء ممتلكات العشيرة المنقولة منها والعقا رية، ومتابعة عقود الملكية والبيع والإيجار، وأعمال الصيانة وغيرها.

– إحصاء أبنا العشيرة، وتصنيفهم حسب العوائل ووضعيتهم الاجتماعية والاقتصادية والصحية والسلوكية، ليسهل التعامل مع كل حالة وفق طبيعتها.

- الأشراف على قاعدة بيانات أبناء العشيرة، ومراجعتها وتحيينها باستمرار، مع الحفاظ على سرية المعلومات وخصوصيتها .
- التكفل بالأيتام والأرامل والمطلقات والمرضى والمحتاجين، وتوزيع الزكاة والمساعدات عليهم.
- متابعة تعليم أبناء العشيرة وتحفيزهم على الاستمرارية والتفوق.
- مساعدة شباب العشيرة للحصول على فرص العمل والتوظيف، ودفع شبح البطالة عنهم.
- مراقبة سلو أبناء العشيرة وتوجيه المنحرفين منهم، ومساعدتهم على الاندماج في المجتمع.
- التعاون مع جماعة المسجد لكبح جماح المنحرفين المتمردين على العشيرة، برفع أمرهم إلى حلقة العزابة لإصدار البراءة في حقهم.
- فض الخلافات بين الأزواج والخصومات العائلية وغيرها قبل أن تصل إلى القضاء الرسمي.
- تعيين الوكلاء على القُ صَّ ر من اليتامى والأرامل والمطلقات، والحجر على أموال السفيه والتكفل بأهله.
- تقسيم التركات وضمان الحقوق عدلا وأداء بما يضمن التكافل الاجتماعي.
- تطبيق أحكام د يّة القتل الخطأ.

تعتبر مهام أعضاء مجلس العش يرة خدمات؛ تقدمها العشيرة لأبنائها. ولكل فرد مهما كان ذكرا أو أنثى الحق في الاستفادة منها حين يستوفي شروط ذلك.

2:4:2 المدرسة الحرة:

أ-تعريف:

المدرسة الحرة هي مدرسة أهلية غير حكومية، تعتمد في تمويلها على تبرعات المحسنين، وفي برامجا التعليمة على مناهج وزارة التربية الوطنية غالبا مع تعديل:

- بزيادة المواد التي لا تعتمدها الوزارة؛ كالفقه الإباضي وما يتعلق بالهوية المزابية؛ كالتاريخ والتربية الاجتماعية، واللغة المزابية وآدابها، كما تدرس مادتي التكوين الحرفي والتدبير المنزلي.
- وبإنقاص المواد التي لا تنسجم مع قناعات المجتمع، كالموسيقى والفنون التشكيلية وممارسة الرياضة.

ب- سبب تأسيس هذه المدارس: تأسست هذه المدارس:

- أثناء الاحتلال الفرنسي: بسبب وجود مدارس " الأخوات البيض" المسيحية، وتوجس المجتمع من برامجها التي تحمل السم في الدسم.
- بعد الاستقلال: بسبب وجود الاختلاط في المدارس الحكومية وعدم إدراج مقومات الشخصية المزابية في برامج التعليم من فقه وتاريخ واجتماع...

فهذه المدارس إنما جاءت لضرورة ملحة، فهي من جهة لتوفير الجو المناسب للدراسة بعيدا عن الاختلاط ومن جهة أخرى، لتوفير مناهج تستجيب للخصوصية الثقافية والاجتماعية للبنت المزابية. فاللجوء إلى المدرسة الحرة إذ ا ، إنما أملته ظروف قاهرة، واعتبارات م وضوعية، وليس كما يفهم البعض، أنه رغبة في الانعزال والانغلاق وفرض للوصاية على البنت.

ورغم ذلك، فإن القائمين مطالبين بإيجاد بديل أكثر انفتاحا على المحيط، قادر على تقديم تعليم أكثر كفاءة وجودة.

ففي عالم متحر ، يعج بالتطورات العلمية الهائلة، والاكتشافات التكنولوجية السريعة والمتتالية لم يبق لأحد العذر في استسهال الحلول ، والاكتفاء بما هو موجود، بدعوى أن البدائل قد استنفذت، ولا بديل إلا ما هو قائم على أرض الواقع.

ج- أهداف المدرسة الحرة: تسعى المنظومة التربوية الحرة بمزاب إلى إعداد جيل، معتز بشخصيته أصيل في هويته، يتعايش مع غيره في انسجام ووئام.

ولتحقيق هذه الغاية، فقد حددت المدرسة الحرة لنفسها مجموعة من الأهداف يمكن تفصيلها كالآتي :[135]

أ- الأهداف الدينية:

- العناية بالقرآن الكريم، بتخريج جيل مهتم بكتاب الله حفظا وتلاوة وتطبيقا.
- التفقه في الدين، بتعلم العقيدة وأصول الشريعة الإسلامية وفقه العبادات.
- الالتزام بالأخلاق الفاضلة وتحويل المعارف الدينية إلى مهارات و سلو يومي.
- تعليم قيّم المذهب الإباضي من فقه وتاريخ، لتخريج جيل مدرك لهويته، متوازن، مؤهل لتحقيق قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[36] ب- الأهداف التربوية:
- الاهتمام بالجانب الأخلاقي وتعليم الآداب العامة والالتزام بها.
- الاهتمام بالجانب النفسي والتعاون مع الأسرة لتوفير عناية ورعاية نفسية مستمرة للأبناء.

[135] دبوز صالح وآخرون. 1997.علاقة المحتوى التربوي بالأهداف التربوية لتعليم البنت بالمدرسة الحرة بوادي ميزاب. دراسة وصفية تحليلية لمتوسطة الإصلاح للبنات بغرداية.)بحث البكالوريوس.(جامعة الجزائر. ص . 110-112.

- الاهتمام بالجانب الصحي، بالتوجيه والرعاية والتوعية بالتعاون مع أولياء الأمور.

[36] القرآن.الحجرات49: 13.

- تنظيم حملات التلقيح والكشف الصحي للوقاية من الأوبئة والأمراض المعدية والكشف المبكر عن الحالات المرضية، بالتعاون مع الجهات الصحية الرسمية.

ج-الأهداف التعليمية:

تعليم العلوم الشرعية، من قرآن وعلومه وحديث وعلومه، وعقيدة وفقه، وسيرة... استكمالا لمقتضيات الشخصية الإسلامية.

- تعليم اللغة العربية وفنونها المختلفة؛ من نحو وبلاغة وشعر ونثر وخطابة... لاستيعاب اللغة العربية كونها لغة الدين وكون المزابيين أمازيغ.

- تعليم اللغات الأجنبية، خاصة الفرنسية كونها لغة التعامل في الجزائر، ولتكون البنت أكثر استيعابا للواقع المعيش، وتحسن التعامل مع محيطها المفرنس في بعض جوانبه. كما قد شرعت بعض المدارس في تعليم اللغة المزابية، بعد أن بدأ يدّب فيها التشويه وتعاني مزاحمة اللغات الأخرى، مما ينذر بانقراضها. فتعليمها للبنات يعني تحويلها للأبناء والمحافظة على سلامتها واستمراريتها.

- تعليم المواد العلمية، من علوم ورياضيات لتعويد البنت على التفكير العلمي المنطقي، وجعلها أكثر عقلانية في تعاملها مع المواقف المختلفة التي تصادفها في حياتها.

- تعليم العلوم الصحية المتعلقة بجسم الإنسان والتغذية وتربية الأولاد، لتتمكن من رعاية عائلتها وفق قواعد صحية صحيحة.

د-الأهداف الاجتماعية:

تسعى المدرسة الحرة في إعدادها للبنات، أن يكن عارفات بالعادات والتقاليد، ومحافظات على الإرث الحضاري، لذلك تخصص الفترة المسائية في المدرسة الحرة لتعلم الحرف التقليدية؛ من نسيج الزرابي بكل أنواعها والألبسة الصوفية، وفنون الخياطة والطرز ...، كما تكون لبنات هذ المدارس مشاركة فعالة، في

إحياء المناسبات الدينية، وحفلات الأعراس وغيرها من الفعاليات النسوية المختلفة، والغاية من ذلك، هو إعداد بنت تتسم بالروح الاجتماعية، تَأ لف و تُؤ لَف، وتشعر بآمال مجتمعها وآلامه، وتساهم بإيجابية في تحصينه وترقيته.

رغم هذه الأهداف السامية، ورغم الجهد المبذول في هذه المدارس لإعداد بنت" مثالية" إلا أن الواقع المعيش، يكشف عن عجز في جودة مخرجات هذا التعليم، لعجزه عن مواكبة التطورات السريعة الحاصلة في مجال التعليم شكلا ومضمونا؛ سواء في التجهيزات ،أو المرافق ،أو الإدا رة، أو هيئة التدريس ،والطالبات، والمحتوى الدراسي.

فتحقيق الجودة لا يتم فقط بكثرة البرامج، وحشو المعلومات، وإنما يكون باكتساب المتعلمة المهارات الذهنية والنفسية والعلمية الضرورية، التي تؤهلها للتكيف مع المتغيرات، والتعامل بإيجابية أكبر مع التط ورات المحيط بها. وهذا يستدعي إعادة النظر في المنظومة التعليمية الحرة، والعمل على إصلاحها ،وإيجاد صيغ تعليمية أكثر نجاعة ونجاحا؛ تستجيب للمعايير البيداغوجية، وتتوافق والمقاييس المعمول بها عالميا.

2:4:3 الجمعيات الأهلية: مع تطور المجتمع، ورفع سقف الحريات نسبيا بالجزائر بعد أحداث أكتوبر1988[137] التي كانت تدعوا لمزيد من الحريات، تم فتح المجال أمام التعددية الحزبية والنقابية والجمعوية

137 أحداث 5 أكتوبر 1988 هي أحداث شهدتها الجزائر ، وكانت السبب الرئيس لدخولها عهد التعددية والانفتاح السياسي، ونقطة بداية لأحداث متتالية ، تولد عنها انتخابات ،كانت أول تجربة ديمقراطية وتعددية حزبية في ظل دستور 1989 إلا أنها اصطدمت بصعوبات متعددة، ترتب عنها توقيف المسار الانتخابي، واستقالة رئيس الجمهورية "الشاذلي بن جديد" وحل المجلس الشع الوطني، ليتم عقبها إنشاء المجلس الأعلى للدولة تعويضا لمنصب رئيس الجمهورية، ثم تم تعيين المجلس الشع الوطني، وتشكيل لجنة تقنية لإدخال تعديلات جذرية على دستور 1989، ثم عرض عملها على الاستفتاء الشع الذي وافق على دستور جديد في 28 نوفمبر 1996.

بمقتضى دستور 1989[37]، فنشط المجتمع المدني في تأسيس جمعيات بمختلف أنواعها، وصارت الوسيلة الأهم في الحصول على الحقوق وتوعية الجماهير وتثقيفهم وتنظيمهم. وهكذا صارت الجمعيات الخيرية بمزاب عنصرا مكملا للهيئات التقليدية المهتمة بالبنت وغيرها. فما أغفلته هذه الهيئات بسب تخصصها وكثرة أعبائها؛ حاولت أن تعوضه هذه الجمعيات ،بفعل ما تحظى به من اعتماد الدولة ودعمها ويمكن تصنيف هذ الجمعيات كالآتي:

1-جمعيات تعليمية: تهتم بالتثقيف ورفع المستوى التعليمي للمنتسبين إليها في مختلف المواد، كتحفيظ القرآن وتجويده، والتربية الإسلامية وأساسيات اللغة الع ربية والحساب، هذه البرامج موجَهة أصلا للمتزوجات وكبيرات السن اللائي لم يتعلمن بالقدر الكافي في صغرهن، إضافة لجمعيات تهتم بتعليم الأولاد ما قبل المدرسة، وأخرى موجهة للدعم المدرسي للبنات. ويمكن أن نذكر في هذا الصدد جمعيات:

- تعليم الكبار: هدفها محو الأمية، باعتماد برامج إعداد مبسطة لإكساب منتسباتها مهارة القراءة والكتابة .
- تعليم المواد الشرعية وحفظ القرآن الكريم وتدبره؛ موجهة للنساء الراغبات في التفقه في الدين، وحفظ مزيد من القرآن الكريم وختمه وفهمه، وذلك عن طريق حلقات النقا والأيام الدراسية المغلقة.
- تعليم اللغات؛ موجهة للنساء ولبنات المدارس، الهدف منها؛ رفع المستوى اللغوي وإكساب المهارة اللغوية خاصة في اللغة الفرنسية.

[37]كرس دستور 1989 التوجه الليبرالي كنظام بديل عن النظام الاشتراكي، وأقرّ مجموعة من المبادئ أهمها، تقرير مبدأ الملكية الخاصة وحرية المبادرة الفردية، مع الأخذ بالتعددية الحزبية والتراجع عن نظام الحزب الواحد، واعتماد مبدأ الفصل بين السلطات التشريعية، التنفيذية والقضائية، علاوة على إقرار حقوق وحريات الأفراد، إلى جانب تأكيد المبادئ المتعلقة بهوية الشعب الجزائري المتمثلة في الإسلام، العروبة والأمازيغية.

- تعليم الصغار؛ أطفال ما قبل المدرسة في مرحلة الروضة.

- تعليم الحرف)الخياطة، الط رز، الطبخ...(موجهة أساسا لبنات المدارس الحرة خاصة المرحة الإعدادية والثانوية والجامعية، وتستقبل حتى ربّا ت البيوت.

2-الجمعيات الرياضية: تهدف إلى تشجيع المرأة على ممارسة الرياضة في جو محتشم؛ في قاعات خاصة بالنساء، فبالرغم من قلتها إلا أنها في توسع مستمر.

3-الجمعيات الصحية: وهي جمعيات؛ تهم بتوعية المرضى، ونشر الثقافة الصحية، وتسعى لدى الجهات الحكومية للحصول على حقوق المرضى في العلاج والدواء بالمجان، والمعاشات الطبية، والاستفادة من المرافق الصحية، والامتيازات التي تمنحها الدولة لهذه الفئة.

4- الجمعيات الاجتماعية: تعنى أساسا بالفئات المحرومة والمهمشة والتي تعاني مشاكل أسرية واجتماعية عموما ، وتقوم بالتعريف بها، وإعلام الناس بمعاناتها من خلال الفعاليات المختلفة التي تقام على طول السنة، مستغلة بعض المناسبات؛ خاصة الدينية منها كرمضان والأعياد لحث الناس على مساعدة هذ الفئة ماديا ومعنويا، وهي تستهدف بالأساس الأسر الفقيرة واليتامى والأرامل والمطلقات وذوي الإعاقات المختلفة.

إن الانطباع الذي يمكن الخروج به بعد استعراض الهيئات المهتمة بالبنت في المجتمع المزابي، هو أن هذه الهيئات العرفية عموما سواء هيئة "تمسردين" أو حلقة الع زّابة أو العشيرة أو غيرها، ورغم مجهوداتها الجبارة؛ إلا أنها قد بدأت تفقد مكانتها ويتقلص دورها وتأثيرها باستمرار لصالح الجمعيات الخيرية التي تؤط رها

الحكومة نتيجة التغيرات الحاصلة في المجتمع ،والنمط الحياتي الم تسم حديثا بالاستهلاكية والتطلع للاستقلال والتفرد والتحرر من القيود الاجتماعية الموروثة لدى الأفراد والجماعات [38] وكذلك بفعل السياسات الخاطئة التي تعتمدها الدولة في ممارسة التضييق على من يخالف رؤيتها، وانتهاجها أسلوب مركزية التسيير، ومعاملة الشعب الجزائري على أنه كتلة بشرية واحدة؛ متطابقة في كل شيء، بدل أن تراعي الاختلاف وتثمّن التنوع الإيجابي، و تشجع المواطنين على المبادرة ومحاولة التكفل بتنظيم أنفسهم وفق قناعاتهم وثقافاتهم المتنوعة، كما هو معمول به في الأنظمة الفيدرالية والديمقراطيات العريقة.

لقد تولد عن إضعاف هذه الهيئات ظاهرة الاتكالية والمطلبية لدى الشباب خاصة، شأنهم شأن بقية الشباب الجزائري، بعد أن كان الاعتماد على النفس إحدى ش يّم المجتمع المزابي البارزة.

ورغم إهمال الدولة لهذه الهيئات، وعدم الاعتراف بدورها، إلا أنها تلتجئ إليها في الملمّ ات والأوقات الحرجة، محاولة استغلالها لحل مشاكلها، أو لتمرير بعض مخططاتها)أجنداتها(، لمعرفتها بما تحظى به)الهيئات(، من سمعة طيبة وسلطة معنوية، ومكانة خاصة في قلوب أغلب المزابين.

4:3 تعليم البنت في المجتمع المزابي: الواقع والآفاق.

شهد تعليم البنت بالمجتمع المزابي تحولات عديدة، كانت ناتجة إما عن وعي داخلي بضرورة تعليم البنت، أو استجابة لضغوط خارجية أملتها تطورات الحياة، وما انبثق وينبثق عنها من ضرورات التكييف مع الواقع والتعايش معه من غير تفريط في ثوابت الهوية المزابية .

---

[38] محمد التريكي .1989م .المعمار والممارسة الاجتماعية: ميزاب بين الماضي والحاضر.)دبلوم الدراسات المعمقة(. المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة والتعمير: تونس. ص .55.

فإن كان التحول قد حصل في تعليم هذه الفئة، فإن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو؛ ما مدى درجة هذا التحول وسرعته؟ وما مدى استجابته لمتطلبات العملية التعليمية محليا ودوليا وانسجامه معها ؟

للإجابة على هذه التساؤلات، يتعين فحص واقع تعليم البنات بمزاب وتتبع مساره عبر المحطات الآتية:

1–ما قبل التأسيس: كان تتولى مهمة تعليم البنات في البداية؛ في المنتصف الأول من القرن العشرين ،هيئة "تمسردين"، إذ يناط لمعلمة من هذه الهيئة، القيام بتلقينهن السور القصار وتحفيظهن بعض الأدعية وتعليمهن الصلاة نظريا وتطبيقيا، كذا العقيدة، وفقه الطهارات، والصوم، وفقه النكاح حين اقتراب موعد الزواج. ويغلب على هذا النوع من التعليم؛ التلقين والحفظ والتطبيق. ويتم تقسيم الطالبات فيه إلى فئتين[39]

أ– فئة الصغريات: من عمر خمس سنوات إلى قبل البلوغ في حدود عشر سنوات. يُلقَّ ن لهن قصار السور ليستظهرنها على المعلمة عند الانتهاء من كل سورة، كما يتدارسن في تلاوة جماعية ما مرّ عليهن يوميا؛ إما في بداية الحصة أو نهايتها، ويحفظن إلى جانب ذلك بعض الأدعية القصيرة، لتلاوتها بعد الانتهاء من التلاوة الجماعية.

ب– فئة الكبريات: اللائي اقتربن من سن البلوغ إلى سن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة، يواصلن في حفظ القرآن واستظهاره صعودا وبالترتيب، كما يتعلمن تلقين ا ؛ العقيدة وفقه الصلاة والطهارات والصوم ،وعند بلوغ إحداهن سن الصلاة تتكفل المعلمة بها لأيام، لتعلمها أمر دينها من صلاة وطهارة وعقيدة، ولا تنصرف البنت لأهلها حتى تتأكد المعلمة من استيعابها كل ما يحيط بالصلاة من أقوال وأفعال واعتقاد . وترجع إليها مرة ثانية عند حلول موعد الزواج لتفقهها فيما يتعلق بفقه النكاح.

[39] مرموري بشير .2005م .الفتاة في ميزاب، تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير. غرداية: جمعية التراث. ص.173.

وهذا النوع من التعليم، كان يواظب عليه يوميا، عدا الخميس والجمعة والمناسبات الدينية، و يتم فقط بالفترة المسائية؛ من بعد صلاة العصر إلى قبل صلاة المغرب، بينما تبقى البنت بقية اليوم بالبيت إلى جانب أمها وأخواتها لتسيير شؤون البيت وتعلم بعض الحرف، خاصة صناعة الزرابي ومختلف المفروشات المستعملة في تجهيز البيت، وكذا إعداد الألبسة الصوفية لمختلف الأعمار ذكورا وإناثا.

ورغم بساطة هذا التعليم في مظهره، إلا أنه كان يعتبر عند المعلمة والمتعلمة جزء من الدين، وعبادة وقربة إلى الله، لذلك لم يصطبغ بالصبغة المادية، وكان أفراد العملية التعلمية فيه يتميزون بالإخلاص والتفاني ،فيكفيه إنجازا تصديه لحملات الاستعمار الفرنسي لطمس الهوية الجزائرية، ومحافظته على ثوابت الأمة، وقد تخرجت على يد هذه المعلمات المخلصات ،طالبات من طينة "مامة نسلمان"[40] إحدى النساء اللائي تميزن بالكاريزما، في قيادة المجتمع المزابي ومقاومة الفرنسيين، وغيرها كثيرات[41] ممن تقلدن مسؤوليات في مجتمعهن في ذلك العصر بجدارة، رغم قبضة الاستعمار، وما نتج عنها من فقر وجهل وتضييق، ومسخ وفسخ ونسخ لكل ما هو جزائري مسلم .

2- مرحلة التأسيس: مع نهاية المنتصف الأول وبداية المنتصف الثاني للقرن العشرين، وأمام التحديات الخارجية المتمثلة في إغراءات المنظومة التعليمية الاستعمارية ،بدأت الفتاة المزابية تنخرط في المدرسة الفرنسية .

ففي سنة 1958كان عدد التلميذات ببلدة بريّ ن 45 من بينهن 20 مزابية و في 1959 وبعد سنة صار عددهن 75 من بينهن 50 مزابية [42] وأمّا في مدارس الأخوات البيض المسيحية التي كانت تقدم

---

[40]تقدمت ترجمتها

[41]ينظر كروم أحمد وآخرون .د.ت .مسلمات صالحات في روضة الإيمان. المطبعة العربية. غرداية .

[42]الحاج سعيد يوسف.1992م .تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية. غرداية : المطبعة العربية. ص 206.

دروسا في التكوين الحرفي؛ كالنسيج والخياطة، وتقدم الرعاية الصحية للأسر كوسيلة لاختراق المجتمع ،استطاعت هذه المدارس أن تستقطب مزيدا من البنات، إذ في سنة 1959 كان عددهن 158 من بينهن 10 مزابيات [43] .

فبالرغم من قلة المزابيات الملتحقات بالتعليم الفرنسي، إلا أن ذلك أعطى مؤشرا قويا على عجز النظام التعليمي الحر في التكفل الكامل بالبنت في كل جوانب حياتها، مما دفع بالقائمين على التعليم الحر)الأهلي(على المبادرة لتدار الوضع، والشروع في محاولة تأسيس تعليم نظامي، يراعي متطلبات التعليم الحديث شكلا ومضمونا، ويستطيع أن يتكيف مع المتغيرات العميقة التي طرأت على المجتمع الجزائري ،الذي كان على مشارف انطلاق الثورة التحريرية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي، من 1954 إلى 1962. وإذا بحثنا عن بدايات التأسيس، فإنها تعود لسنة 1948 كفكرة تبنتها جمعية الإصلاح بغرداية ،لتتجسد في مشروع سنة 1950 ب30 إلى 60 بنتا، تتراوح أعمارهن بين السابع والثامن عشرة سنة[44]، وكان ذلك سابقة لم يعهدها المزابيون. كيف ببنات يدرسن إلى هذ العمر المتقدم وعلى يد أساتذة رجال؟.

كنَّ يدرسن ساعتين في اليوم على مدار خمسة أيام في الأسبوع، يتعلمن "القراءة والكتابة ،والتوعية الدينية، واللغة العربية. ففي الفصل الأول من السنة الدراسية الذي دام شهرين وبضعة أيام درست البنات مادة القرآن الكريم، باستظهار السور؛ من سورة الناس إلى النبأ، وخمسة وعشرين حيثا نبويا، يشتمل كل حديث على سطرين، وثلاثة عشرة قطعة نظم، وسبعة وعشرين درس قراءة وإملاء ورسم." [45] ومع

---

[43]المرجع نفسه. ص .207

[44]مرموري بشير .2005م. الفتاة في ميزاب، تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير. غرداية: جمعية التراث. ص .177.

[45]مرموري بشير .2005م. الفتاة في ميزاب، تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير. غرداية: جمعية التراث.. ص .117. نقلا عن راس النعامة عمر. 1981 . [أول مدرّس للبنات بمدرسة الإصلاح] "محاضرة حول التعليم الحر". ص8.

هذه الخطوات الأولى بدأت تتشكل ملامح مدرسة نظامية للبنات، فيها منهج يدرّس وطاقم تعليمي وإدارة مُ شْ رفة.

وكان وراء ظهور هذه المدارس الأسباب الآتية:

1- تدهور المستوى الثقافي للمرأة في المجتمع الجزائري، وانتشار الأمية على نطاق واسع بسب الفقر وسياسة التجهيل التي كانت تتبعها فرنسا تجاه الجزائريين؛ إذ قدرت نسبة الأمية بعيد الاستقلال؛ في سنة 1966 بـ

74.6%[46]

2- عدم اعتراف التعليم الفرنسي بالهوية الجزائرية في المناهج الدراسية، وممارسة التعتيم والتشويه والتشكيك في قيم الشعب الجزائري، فضلا عن اعتراضه على تدريس الثقافة الإسلامية بكل أطيافها بما في ذلك المذهب الإباضي.

[46] المرجع نفسه. ص.239.نقلا عن مدير الديوان الوطني لمحو الأمية وتعليم الكبار في كلمة افتتاح .1998." تقرير حصيلة أشغال الملتقيات الجهوية ".الجزائر:ص.6.

3- انتشار الخرافات والاعتقادات الباطلة، التي ترهن إرادة الأمة وتربطها بأوهام وأباطيل، مما انعكس سلبا على المستوى الفكري للأفراد خاصة العنصر النسوي، وهذه الظواهر كانت عامة تشمل كل الشعب الجزائري بلا استثناء، فمنهم من رأى الحل في الاندماج والالتحاق بالمدرسة الفرنسية، طلبا - في اعتقاده - للعلم والحضارة والعصرنة، ومنهم من رأى أن هذه المدارس الاستعمارية وبا لا وشرا لا يقل خطورة عن الأوضاع البائسة التي كانت يعيشها الشعب الجزائري والمرأة بوجه خاص، فكان الحل عنده، السعي لتأسيس مدرسة جزائرية أصيلة تستجيب لقيم الشعب الجزائري، وتستجيب لتطلعاته في الحرية والانعتاق.

3- مرحلة التطوير[47]:

لقد لقيت مبادرة جمعية الإصلاح لتعليم البنات استحسانا من أولياء الأمور والقائمين على الشأن العام، فانتشرت المبادرة لتعم بقية المدن، وزاد الإقبال على هذا النوع من التعليم، فتوسع وتطور على مر الأعوام، ولم يأتي عام 1962 - وهو تاريخ استقلال الجزائر- ، إلا وفي كل مدينة من بمزاب مدرسة ابتدائية نظامية، تسيّر وفق منهج مضبوط وإدارة تشرف عليها.

وتتجلى مظاهر هذا التطور في المحطات الآتية:

1- الهيكلة العامة للمدرسة: في البداية كانت المدارس تشمل نوعين من التعليم، أحدهما موجه للأولاد باعتباره مكملا للمدرسة الرسمية، والآخر موجة للبنات بنظام التفرغ الكلي تحت إشراف حلقة العزّابة ،وبرخصة من الجهات الرسمية تحت مسمى جمعية، كجمعية الإصلاح، وجمعية الفتح، وجمعية النهضة وجمعية

[47] إن تقسيم مراحل التعليم الحر إنما كان اجتهادا من الباحث ولم يعثر على مراجع في الموضوع.
مرموري 2005م

عمي سعيد وهكذا .ويشرف على التعليمين)الذكور، الإناث(مدير واحد مسؤول أمام مكتب الجمعية ،ويقدم دوريا التقارير المالية والأدبية عن سير المدرسة.[48]

الشكل) 1(: هيكل وظائف التعليم الأهلي للبنات بمزاب)الجزائر(

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

[48]بشير. . الفتاة في ميزاب، تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير. غرداية: جمعية التراث. ص 196

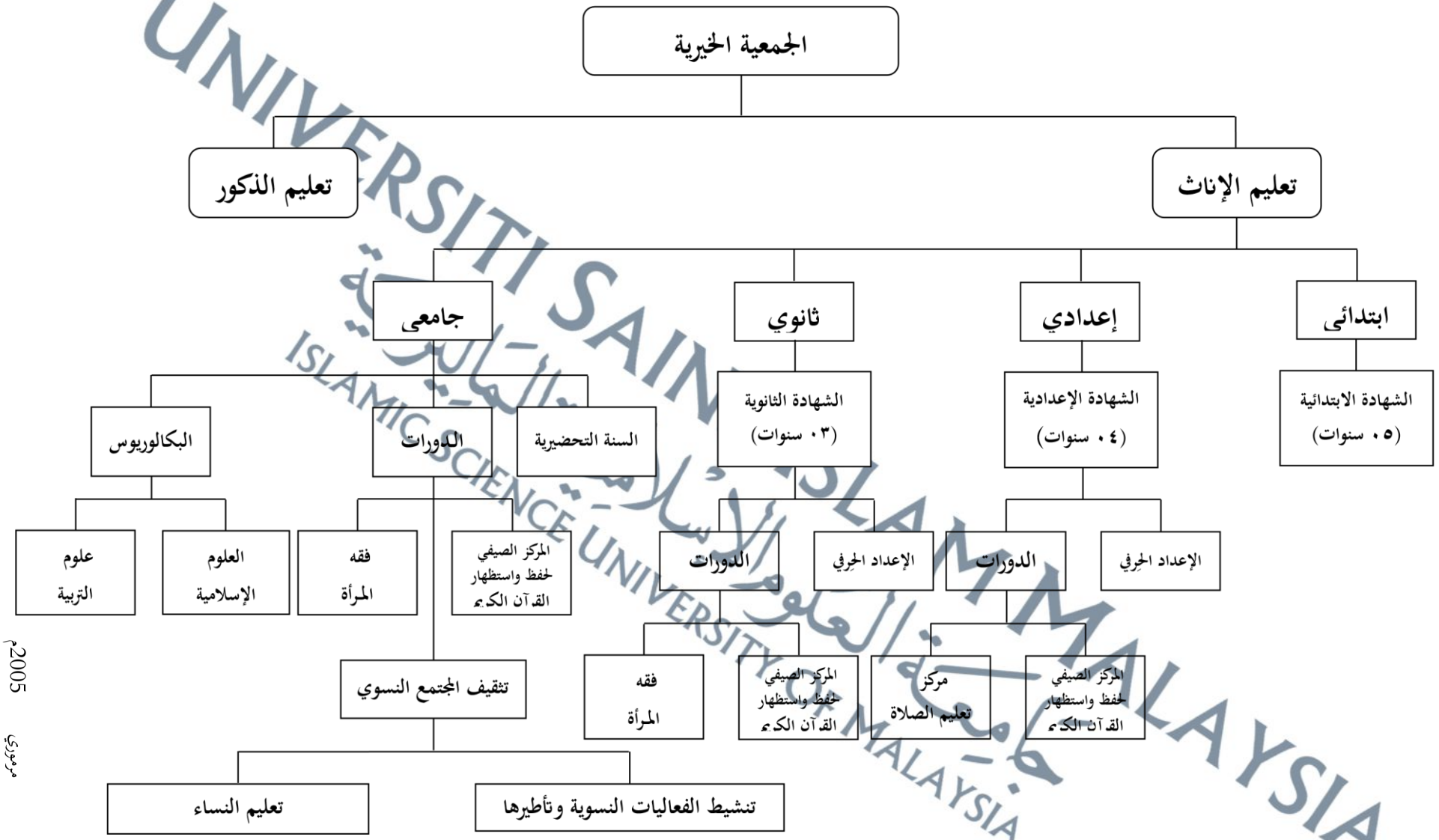

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

2-التطور العمودي للمدرسة الحرة: قفز التعليم من المرحلة الابتدائية للمرحلة المتوسطة ذات الأربع سنوات مع نهاية السبعينات من القرن الماضي، وزاد المدى الدراسي للبنت من ست سنوات في الابتدائي إلى عشر سنوات مع المرحلة الإعدادية، وشهدت بداية التسعينات انطلاق المرحلة الثانوية بثلاث سنوات، ومطلع الألفية الثالثة ظهرت أول كلية للتعليم العالي في تخصص العلوم الشرعية، وهكذا تطور المدى الدراسي ليصل إلى ثلاث عشرة سنة، ثم يقفز إلى سبع عشرة سنة. وبالرغم من أن هذا المدى غير محترم في كل المدارس ،إلا أنه بالإمكان التنويه بأهمية هذا المكسب في مسار تعليم البنت، إذ يعد تطورا جد مهم بالقياس إلى ما كانت عليه من قبل.

3- إقبال البنت على التعلم: في البداية كان توسع وانتشار هذه المدارس سريعا، والقدوم عليها كبيرا بسبب عدم وجود منافس، أو لقناعة في الناس بكفاية هذا التعليم، إلا أنه مع مرور الوقت، صارت بعض المدن تعاني عزوفا عن هذا التعليم لصالح المدارس الرسمية[49]،كما يلاحظ أن الإقبال في البداية كان أكثر على المرحلة الابتدائية، ثم بدأ يقل كلما اتجهنا للمرحلة الإعدادية بسبب الزواج المبكر، أو لاعتقاد في بعض الناس أن البنت بعد سن البلوغ لا يليق أن تجلس لرجل ليعلمها[50]، ومع مرور الوقت بدأت هذه العوامل تتقهقر لصالح مواصلة البنت دراستها.[51]

4-البرامج التعليمية المعتمدة:

يعتقد القائمون على التعليم بدرجة كبيرة، أن الهدف من تعليم البنت في هذه المدارس وغيرها؛ هو إعداد زوجة صالحة وأم مثالية. وبمقتضى هذه الرؤية فقد صممت المناهج ومختلف البرامج التعليمية. لذلك يغلب

---

[49]مرموري بشير .2005م. الفتاة في ميزاب، تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير. غرداية: جمعية التراث. ص. 200- 211.

[50]مرموري بشير .2005م .المرجع نفسه. ص . 203، 206.

[51]بشير . .المرجع نفسه. ص.198، 199

على برامج إعداد البنات؛ التعليم الشرعي واللغة العربية، مع إضافة بعض أساسيات اللغة الفرنسية والانجليزية، وأساسيات الرياضيات والعلوم الطبيعية والصحية والنفسية الضرورية لحياة الزوجة وأم المستقبل .

إن المتمعن في توزيع المواد على السنوات الدراسية، والحجم الساعي المخصص لكل مادة يلاحظ الآتي:

1-مادة القرآن الكريم: تغطي كل السنوات الدراسية، وتحظى في المرحلة الابتدائية والإعدادية بالحجم الساعي الأكبر، وتوجه العناية بالأساس للحفظ؛ بالتلقين في السنوات الثلاث الأولى، ثم وفق نظام الدراسة الفردية بعد ذلك. وفي نهاية السنة تُخصص جوائز للمتفوقات في هذه المادة دون غيرها من المواد.

2-المواد الشرعية واللغة العربية: تأتي في الدرجة الثانية من حيث الاهتمام والحجم الساعي المخصص لها ،وتتعمق البنت فيها كلما تقدمت في مراحل الدراسة، كما تزداد كثافة هذه المواد أكثر في المرحلة الثانوية ،ثم تتخصص فيها في المرحلة الجامعية.

وهذه المواد هي؛ التفسير والحديث وعلومه، والعقيد، والفقه وأصوله، المواريث، والسيرة النبوية ،والادب العربي؛ من شعر ونثر، وقواعد اللغة وغيرها من الفنون المتعلقة بها؛ كالبلاغة والعروض.

فهذه البرنامج إضافة إلى اهتمامها بالجانب النظري فإنها لا تغفل الجانب التطبيقي، من إكساب الطالبة مهارات فن الخطابة، وإلقاء المواعظ في التجمعات النسوية، والتدريب على البحوث وكتابة الخواطر الشعرية والنثرية.

3-المواد العلمية واللغات الأجنبية: تدرس غالبا أساسياتها في المرحلة الإعدادية، والثانوية ،وتعد هذه المواد مكملة وليست أساسية، لذلك خُصص لها الحجم الساعي الأقل ضمن البرامج. ومرد هذا، التصور الخاطئ لعدم حاجة البنت لها في حياتها مستقبلا، بعكس ما يراه التربوي ون من أهمية هذه الم واد العلمية في تفتيق الذهن، وإكسابه مهارات التفكير المنطقي، الذي يعود بالإيجاب على سلو المتعلمة في حياتها، ويجعلها

تتصف بالعقلانية والروية في تدبير شؤون حياتها وحياة عائلتها، وذلك لا ريب سيأثر إيجابا على كل المجتمع من خلال الأبناء خصوصا، لكون الأم حاملة للقيم وناقلة لها، غير أنه ومع مرور الوقت أدر القائمون أهمية هذه المواد، فصارت تُحظى بالعناية في المحتوى والحجم الساعي ومعاملات الاختبارات.

وقد ذك رت دراسة الأستاذ بشير المرموري تفاصيلا عن هذه المواد من حيث الحجم والتنوع والحجم الساعي وفترة الدراسة المخصصة[52] وبفعل عدم الرضا الذي أبداه أولياء الأمور عن محتوى بعض البرامج، وافتقارها للبعد ال تربوي شكلا ومضمونا، وانصراف الناس عن هذه المدارس للمدارس الحكومية، فقد شهدت مراجعات، فمنها ما ألغي وعوض بمناهج وزارة التربية الوطنية، ومنها ما تمت مراجعته وإعادة صياغته ليتلاءم مع المتطلبات البيداغوجية.

وبمرور الوقت زاد الاهتمام بالمناهج الحكومية فاحتلت موقعا متقدما مقابل المناهج الخاصة، التي كُ رست للمواد الشرعية والتاريخ الإسلامي. مع الملاحظة أن البرامج الحكومية في هذه المدرس لا يُح ترم حجمها الساعي إلا نادرا، ولا يستفيد مدرسوها من الإشراف الترب وي والتدريب، وهذه نقطة ضعف بارزة كانت ولاتزال سببا في تدني جودة التعليم بالمدارس الحرة)الأهلية(.

5-هيئة التدريس:

في البداية كانت هيئة التدريس تتكون من ال رجال ممن له خبرة بتعليم الذكور في المدرسة الحرة)الأهلية(،ومع مرور الوقت قيد الالتحاق بسلك التعليم بشرط المستوى، ففي المرحلة الابتدائية يشترط في المعلم مستوى نهاية المرحلة الثانوية، وفي الإعدادي نفس الشرط مع خبرة وأقدمية في التعليم الابتدائي، ومع تزايد الخرجين من المعاهد التعليمية والجامعات والمعاهد الشرعية الخاصة، فقد التحق عدد كبير من هؤلاء بهذه

[52]بشير .. الفتاة في ميزاب، تنشئتها وتعليمها بين الثابت والمتغير. غرداية: جمعية التراث. ص. 214

المدارس، فأعطوا لها نفسا جديدا ،أثر إيجابا على المستوى العام، فصار يشترط في أساتذة المرحلة الثانوية في الغالب شهادة البكالوريوس، أو ما يعادلها من شهادات المعاهد الشرعية الخاصة، وفي التعليم العالي فيش ترط مستوى الماجستير والدكتوراه. وبعد أن كانت هيئة التدريس حكرا على الرجال، صار الآن الباب مفتوحا للمعلمات الخريجات من هذه المدارس، أو من الكل يّات الأهلية ومن الجامعات الحكومية.

إلا أن ما تعانيه هيئة التدريس هو قلة التدريب وضعف الإشراف التربوي، وقلة الوسائل التعليمية، والتجهيزات؛ كالمخابر، والمكتبات وسائل التعليم الحديثة، كما تشتكي ضعف الرواتب والتحفيزات المادية والمعنوية، بسبب نقص مصادر التمويل، فالتعليم مجانا والتمويل يعتمد أساسا على تبرعات المحسنين وهباتهم.

6-الإدارة التعليمية:

يتم إدارة المدارس من خلال مجلس يتكون من بعض أعيان البلدة الأثرياء وع زّابتها إضافة إلى بعض الأساتذة، وتناط لأحد أعضائه مسؤولية الإدارة المباشرة والإشراف العام على كل المراحل التعليمية ،أو تكلف شخصا بذلك، فيكون مديرا على تعليم الذكور والإناث، ويساعده في أداء مهامه التنفيذية مجموعة من الموظفين ،لا يتمتعون بصلاحية القرار، مما يؤدي إلى ضعف التسيير وقلة الإبداع، فقد يكون أحيانا كسب ولاء الموظف ونيل رضا المدير أهم من تثمين الكفاءات و تطوير الإدارة وتحسن الخدمات التعليمية، وهذا ما أضر كثيرا بمستوى هذه المدارس ونال من مصداقيتها في جودة التعليم ومستوى المخرجات. إلا أن التحاق المتخرجين من الجامعات الحكومية والمعاهد الشرعية الأهلية، بدأ يغير الصورة لصالح توفير هيكل تنظيمي للطاقم الإداري و التربوي، وتحديد مهام كل عضو بالمدرسة، وتم وضع اللوائح التنظيمية لأطراف العملية التعليمية؛ من أولياء الأمور والطالبات وهيئة التدريس، وضُبطت كيفية استعمال المرافق واستغلال التجهيزات، و أُسست في بعض المدارس مجالس خاصة تعنى بتسيير تعليم البنت، كما أنشئت هيئة للإشراف

التربوي للرقي بجودة التعليم، وأسندت مسؤولية الإدارة لمدير مستقل أو فرعي، بعد أن كانت كل الصلاحيات في قبضة مدير مركزي واحد، يعمل كل شيء ولا ينجز أي شيء إلا مزيدا من التعقيد .

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وحاليا، أسست مجموع هذه المدارس لجنة عليا تتكون من اللجان القاعدية على مستوى كل مدرسة، تعنى بتأليف المناهج وطرق التدريس وتوحيد أساليب القياس والتقويم، إضافة إلى لجنة عليا تهتم بالجانب الإداري، تسعى عند الجهات الرسمية للاعتراف بالشهادات الصادرة منها، والاستفادة مما تقدمه الدولة من الخدمات الصحية والتأمين، والمشاركة في الفعاليات والمسابقات التربوية، والدورات التدريبية التي تنظمها وزارة التربية الوطنية للمعلمين، وقد تحققت كثير من المكاسب لهذه المدارس، بفضل تكتلها في تنظيم موحد يضم كل مدارس مزاب، إلا أن الطريق لايزال طويلا في الاعتراف بالشهادات التي تمنحها، وهي نقطة ضعفها الكبرى والتي أدت إلى انصراف البنات عنها لصالح المدارس الحكومية.

7-البناية المدرسية:

تفتقد أغلب المدارس لمعايير البناية المدرسة، فأغلبها بني على النمط التقليدي؛ فصول متلاصقة في طابقين أو أكثر توسطها ساحة، فلا اعتبار لمقاييس امتصاص الضوضاء المنبعثة من الأقسام المجاورة، وحتى الإنارة والتهوية غير كافية أحيانا، كذلك نقص معايير السلامة والراحة، فلا ساحات خضراء، ولا اعتبار للجمالية و للبيئة، وقد تجد أحيانا بعض المدارس شبيهة بالثكنات؛ عبارة عن كتلة إسمنت. كما تفتقر هذه المدارس لمكتبات عصرية، وقاعات العروض والمحاضرات، والمخابر الكافية لإجراء الدروس التطبيقية، كذا انعدام المطاعم المدرسية، فهي فعلا تحتاج في هذا الجانب إلى تطوير وإصلاح جذري، لما لذلك من أثر بالغ على نفسية الطالبة ومستواها الفكري والمهاري.

4- مرحلة البديل:

بعد أن مر تعليم البنت، بمرحلتي التأسيس والتطوير، أصبح يوفر كل المراحل التعليمية؛ من ابتدائي وإعدادي وثانوي وجامعي، فكان استكمال هذه المراحل حجة لمن يدعي توفر البديل وكفايته

،ويدعو إلى عدم حاجة البنت للتعليم الحكومي. ولكن في الواقع، هل فعلا يمكن القول بتوفر بديل حقيقي يغني عن المدرسة الحكومية، قادر على تلبية طلبات المجتمع ومقتضيات التطور السريع للتعليم شكلا ومضمونا ؟.

للإجابة على هذه التساؤلات والحكم على مدى صحة ادعاء من يقول بوجود البديل، نحتاج إلى نظرة فاحصة لكل مراحل هذا التعليم، وفق الآتي:

أ-المرحلة الابتدائية:

- سنوات الدراسة: تسجل التلميذة لهذه المرحلة عندما تبلغ ست سنوات، وتستغرق مدة الدراسة ست سنوات.
- البرامج المعتمدة: برامج وزارة التربية مع حذف بعضها، كالموسيقى والفنون التشكيلية، والرياضة. يضاف إليها برامج خاصة في الفقه والحديث والأخلاق تختلف من مدرسة لأخرى.
- تنفيذ البرامج وحجمها الساعي: لا يتم التقيد بعدد الحصص، ولا بالحجم الساعي الذي حددته الوزارة التربية.

— هيئة التدريس:

- لا يوجد معيار موحد لتوظيفها، ففيها خريجة هذه المدارس، وذو المستوى النهائي ثانوي وأقل ،وخريج المعاهد الشرعية الخاصة، وذو المستوى الجامعي ،ويتم قرار التوظيف بناء على تقدير المدير وتقييمه.
- لا يوجد هيئة للإشراف التربوي توجه المد رّس وتق يّمه أثناء مساره المهني فضلا عن تحديد حاجاته التدريبية، عدا بعض المدارس القليلة.
- لا دورات تدريبية وإن وجدت فهي قليلة وفي بعض المدارس فقط.

الإدارة المدرسية:

- لكل مدرسة نظامها الإداري ووثائقها الخاصة ولوائحها التنظيمية، لذلك يلاحظ تفاوت كبير بين المدارس في التنظيم والتسيير.
- لا تشار هذه المدارس في الامتحان الوطني للشهادة الابتدائية الذي تنظمه وزارة ال تربية ولا يسمح لها بذلك.
- الشهادة المدرسية وشهادة التخرج التي تمنحها المدرسة غير معترف بها.

ب-المرحلة الإعدادية:

الانتقال لهذ المرحلة لا يتم بناء على النجاح في الامتحان الوطني للشهادة الابتدائية، وإنما بناء على امتحان عادي، وقد يحاكي أحيانا الامتحان الوطني في بعض المدارس، أما بالنسبة للمسائل الأخرى المتعلقة بالمناهج والحجم الساعي لتنفيذها، وهيئة التدريس والإدارة وغيرها، فهي نفس الأوضاع التي جاء ذكرها في المرحلة الابتدائية. كما نشير أن هذه المرحلة تتكون من أربع سنوات دراسية، يتناقص عدد الطالبات كلما تقدمت سنوات الدراسة، بسبب الزواج المبكر ،ولا تنتهي هذه المرحلة بامتحان التخرج كما هو معمول به في المدارس الحكومية. وهذا ما يجعل المتخرجات يشعرن بالفرق والحرمان من نيل شهادة وطنية؛ قد تفتح لهن أفاقا وفرصا إضافية في تطوير مهاراتهن الفكرية والمهنية، وتستجيب لتطلعاتهن المشروعة.

ج-المرحلة الثانوية:

وهي مرحلة تتكون من ثلاث سنوات، وتُختصر إلى سنتين في مدارس عديدة بسبب الزواج المبكر خصوصا.

- الشعب الدراسية)التخصص(: لا توجد شعب دراسية كما هو معمول به في المدرسة الحكومية

)الشعب الرياضية والعلمية والتقنية والآداب(وإنما هنا شعبة واحدة، يمكن تسميتها تجاوزا، شعبة العلوم الإسلامية.

– البرامج المعتمدة: أغلبها برامج خاصة إن لم أقل كلها، مع تفاوت وتباين في المحتوى والمستوى بين المدارس.

– هيئة التدريس:

- تتكون هيئة التدريس من خريجي وخريجات المعاهد المحلية الخاصة ومن خريجي الجامعات، ممن له مستوى البكالوريوس، مع استثناء شرط الشهادة لمن له الخبرة الكافية للتدريس في هذه المرحلة ،وسلطة التقدير والتوظيف تعود لمدير المدرسة.
- لا يوجد هيئة للإشراف التربوي عدا بعض المدارس القليلة.
- لا دورات تدريبية وإن وجدت فهي قليلة وفي بعض المدارس فقط.

– الإدارة المدرسية:

- لكل مدرسة نظامها الإداري ،ووثائقها الخاصة ولوائحها التنظيمية، لذلك يلاحظ تفاوت كبير بين المدارس في التنظيم والتسيير.
- لا تشار الطالبات في الامتحان الوطني لشهادة الثانوية العامة ولا يسمح لهن بذلك.
- الشهادات المدرسية التي تمنحها في سنة التخرج غير معترف بها لدى الجهات الرسمية، ولا يسمح لهن بمواصلة التعليم العالي إلا في الكليات الخاصة التابعة لنظام هذه المدارس.

د–الكليات الخاصة بمزاب:

تعد هذ الكليات امتدادا للتعليم الثانوي، ومدة الدراسة بها مختلفة، بعضها ثلاث سنوات وبعضها أربع سنوات.

وأغلبها كليات للشريعة وقد زيد لها تخصص التربية مؤخرا.

شروط الالتحاق:

السنة الأولى: على أساس الشهادة: للناجحات في شهادة الثانوية العامة، أو شهادة التخرج من المدارس الحرة) الأهلية(

على أساسي المسابقة: للمتحصلات على مستوى الثانية والثالثة ثانوي، وحتى السنة الأولى ثانوي عندما يفتح فرع جديد ولا يوجد طالبات بالعدد الكافي، إذ تلجأ الإدارة لهذا الإجراء تشجيعا لمواصلة الدراسة وكسر قيد التقاليد الذي يؤثر بدرجة كبيرة على نسبة الإقبال.

السنة التحضرية:

بدون مسابقة: للطالبات اللائي لم يوفقن في مسابقة الالتحاق بالسنة الأولى.

على أساس المسابقة: لطالبات السنة الرابعة متوسط والسنة الأولى ثانوي أحيانا، وفق ما تراه الإدارة.

- الحجم الساعي: لا يراعى الزمن المعمول به في التعليم العالي، فالحجم الساعي المستنفذ في الدراسة لا يتعدى خمس ساعات يوميا لخمسة أيام في الأسبوع.
- نظام الدراسة حضوري، وقد شُرع منذ ثلاث سنوات في توفير نظام الدراسة عن بعد.
- نمط الدراسة: يختلف عن الجامعة في عدد الحصص)محاضرات وتطبيقات(والأنشطة الأكاديمية والطلابية وغيرها.
- المقررات الدراسية: مستمدة من المقررات الجامعية المختلفة ،وغيرها من المراجع، وهي برامج غير محكَّمة مع تخفيف لمحتواها ومستواها حتى تنسجم مع مستوى الطالبات .

- الهيئة التعليمية: تتكون من دكاترة وحاملي الماجستير والبكالوري وس وممن له خبرة في اختصاصه، لا يخضعون لأي معايير رقابية أكاديمية، أو تقييم أو توجيه إلا ما يتم ضمن اللقاءات على مستوى الفروع دوريا، أو على المستوى المركزي أحيانا.

- الإدارة: يشرف على الجامعة مجلس علمي يتكون من الدكاترة ومديري الفروع، وهو الذي يقرر سياسات الجامعة وميزانيتها، ويقرر جدول الامتحانات، ويعتمد بحوث التخرج، كما يباشر التسيير عميد بدرجة دكتوراه بالتنسيق مع مديري الفروع الذين لا يش ترط في تعيينهم مستوى الدكتوراه أو أقل.

- الشهادات الممنوحة: تمنح للطالبة عند اتمام دراستها ومناقشة بحثها شهادة البكالوريوس، غير معتمدة ولا معترف بها.

- البناية الجامعية: لا توجد بناية جامعية، ولا مرافق بنفس المعايير الجامعية؛ من قاعات ومخابر ومكتبة مركزية، ولا مطاعم أو كافتيريا، أو ميادين أو صالات للرياضة والترفيه.

النشاط الأكاديمي: لا وجود لمؤتمرات لا محلية ولا دولية بالجامعة، عدا بعض المحاضرات أو الندوات القليلة ،كما لا يوجد نظام يسمح بمشاركة الطالبات في الفعاليات العلمية التي تقام محليا ودوليا، ولا تتوفر الجامعة على مجلة عادية أو محكّمة تستقطب الأفكار وت برز مواهب الطالبات وقدراتهن العلمية.

ومرد كل هذا؛ نقص الموارد المالية، فالدراسة شبه مجانية وفي بعض الحالات مجانية، ولا يخفى على أحد أن المال قوام الأعمال فبدونه لن تستقيم الأوضاع فضلا أن تتحسن وتتطور باستمرار.

باستعراض الوضعية الحالية للمدارس الحرة(الأهلية(للبنات بمزاب، يتضح بجلاء وبكل تجرد، أن هذا التعليم لا يمكن أن يكون بديلا في صورته الحالية للتعليم الحكومي، رغم ما بذل ويبذل من جهد في تطويره، فهو رغم ذلك لايزال يعاني الضعف، وصعوبة التكيف مع المتغيرات الحاصلة في محيطه، ولم تعد

مخرجاته تقنع الجيل الجديد، إضافة إلى عجزه الواضح عن الاستجابة للتطورات السريعة في عالم التعليم والتربية.

إذا فلا بد من إعادة النظر في وضع هذا التعليم في جانبه:

القانوني: بإيجاد الصيغة القانونية المنظمة لهذه المدارس، والاعتراف بها وبشهاداتها.

- المنهجي: بعد إخضاع المناهج والمقررات لجملة من الإصلاحات، لتوافق المعايير المعمول بها عالميا في الشكل والمضمون؛ كمّ ا وكيفا.

- الإداري: بالتقيد بطرق التسيير والمعايير المعتمدة وطنيا ودوليا؛ في الإدارة التعليمية والنظام الأكاديمي.

- هيئة التدريس: باستقطاب أحسن الكفاءات، وفق المواصفات المعتمدة عالميا، فلا يؤهل لمهنة التعليم ،إلا من تتوفر فيه الشروط العلمية والنفسية المطلوبة لكل مرحلة، مع إخضاعه باستمرار للتوجيه والتقييم والتدريب ،وتحفيزه ماديا ومعنويا ليقوم بدوره على أكمل وجه، ويتم ذلك كله وفق معايير واضحة، ويجب ألا يخضع لنزوات المدير وتقديره الشخصي، فكل القرارات ذات العلاقة يجب أن تصدر من مجلس، يتوفر على كل المواصفات التي تؤهله لذلك.

- المرافق والتجهيزات، لا بد من إعادة النظر فيها، لتكون أكثر ملاءمة للمعايير العلمية وتستجيب بشكل أكبر لمقتضيات المدرسة الحديثة.

– مجانية التعليم: من الضروري إعادة النظر في مجانية التعليم، والتوقف عن اعتبار ذلك مكسبا حضاريا لا يمكن التنازل عنه. فالتغني بالشعارات على حساب الواقع مضرة وأي مضرة .لقد أثرت محدودية الموارد المالية –باعتراف الجميع –على جودة التعليم بهذه المدارس، وعلى استقرار إطارها البشري في الإدارة وهيئة

التدريس، وجعلتها عاجزة عن استقطاب الكفاءات، وتطوير تجهيزاتها، وجلب وسائل التعليم التي تطلبها المدرسة الحديثة.

فلا بد إذا من التفكير في بدائل أقل كلفة وأكثر جدوى، مع المبادرة بإصلاح شامل لهذه المنظومة ،تتكفل به كفاءات علمية نزيهة وواعية بمتطلبات التغيير وأساليبه، تراعي في ذلك هوية الأمة المزابية ومتطلبات التطور الملحّة، من غير إفراط ولا تفريط بين الأصالة والمعاصرة، كما على علية القوم وعلى المزابيين كافة أن يعلموا أنُ لا حل إلا بالمرور على هذا الطريق، وإلا ستضمحل هذه المنظومة التعليمة وتتلاشى لصالح تعليم

آخر قد لا يجدون فيه ضالتهم ولا هويتهم، وإنما سيفرض نفسه عليهم فرضا، لا بقوته، وإنما بضعف مدارسهم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA